مجلة

كلية دار العلوم

إصدار خاص

مجلـــة

كلية دار العلوم

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

١٤٢٧هـــ - ٢٠٠٦م

مجلة كلية دار العلوم

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية دار العلوم

إصدار خاص

سورة الجن
نموذج للتضافر بين أبنية السبك وأبنية الحبك

د . أشرف عبد البديع عبد الكريم(*)

١/. : ملاحظات أولية :

١/١ : السورة :

هي سورة الجن ، وتسمى ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ ، وترتيبها في المصحف (٧٢) ، وتقع في الجزء التاسع والعشرين ، وترتيبها السادس داخل جزئها ، وهي مكيَّة بالاتفاق ، وآياتها ثمانٍ وعشرون آية .

وحديثُ الحق جلَّ وعلا في هذه السورة عن إيمانِ نفرٍ من الجن ، وأنهم كانوا ذوي عقولٍ سليمةٍ في إيمانهم بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وفي ذلك تبكيتٌ لكفار قريش في عدم تصديقهم وإيمانهم ، إلى جانب تصويرِ قضايا أخرى تتعلقُ بهم .

ونشيرُ على جهةِ التنبيه إلى أننا إذا كنا قد اقترحنا عنواناً خاصاً بتحليلِ السورة تدورُ حوله جوانب البحث ، فإن قضايا التحليل تعتمد على مواضع أخرى من النص القرآني تتعلق بقضايا لغوية خاصة الجن . أمَّا شرحُ المفردات في السورة ، فقد نقلناها عن تفاسير متنوعة ، كالجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، والكشاف للزمخشري ، وروح المعاني للألوسي ، والبحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسيّ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ، بحيث يُكمّل كلٌّ منها الآخر ، وإنْ كان لا يغني هنا كثيراً ، فإنه لازمٌ بالقدر الذي يزول معه الإبهام ، لما تتضمنه السورة من ألفاظٍ، تحتاج إلى نوعٍ من الإبانة .

(*) كلية دار العلوم – جامعة المنيا.

٢/١: نص السورة

﴿قُلْ أُوحِـيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ [١] مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا [٢]. / يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ [٣] فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ [٤] رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا .// وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا [٥] عَلَى اللَّهِ شَطَطًا . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا [٦]. وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا . وَأَنَّا لَمَسْنَا [٧] السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا [٨] مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ [٩] فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا [١٠]. وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا . وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ [١١] كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا [١٢]. وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا [١٣]. وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى [١٤] آمَنَّا بِهِ

---

(١) النفر : الجماعة ما بين الثلاثة والعشرة.

(٢) عجاباً : بديعاً.

(٣) الرشد : الحق والصواب.

(٤) الجد : العظمة والإجلال .

(٥) سفيهنا : مردة الجن (إبليس) .

(٦) رهقا : زلة وضعفا/ جراءة وطغيانا .

(٧) لمسنا : طلبنا .

(٨) فوجدناها : فصادفنا .

(٩) مقاعد للسمع : أماكن خالية من الحرس والشهب .

(١٠) رصداً : مترصداً.

(١١) دون ذلك : مقابل الصالحين ، أو أقل في المرتبة .

(١٢) قددا : مذاهب مختلفة .

(١٣) هرباً : من الأرض إلى السماء .

(١٤) الهدى : القرآن .

فمنْ يُؤمنْ بربّه فلا يخافُ بخسًا [1]ولا رَهقًا [2]./ وأنّا منّا المُسْلمُون ومنّا القاسطُون [3] فمنْ أسلَمَ فأولئك تحرّوْا رَشدًا[4]. وأمّا القاسطونَ فكَانُوا لجهَنّمَ حطبًا . وأنْ لو استقامُوا على الطّريقة لأسقَيْناهُمْ ماءً غدقًا[5] . لنفتنَهُمْ[6] فيه ومنْ يُعْرضْ عنْ ذكْر ربّه يَسْلُكْهُ[7]عذابًا صعدًا[8].// وأنّ المساجدَ للّه فلا تدْعُوا مع اللّه أحدًا . وأنّهُ لمّا قامَ عبْدُ اللّه يدْعُوهُ كادُوا يكُونُونَ علَيْه لبدًا[9]. قُلْ إنّمَا أدْعُو ربّي ولا أشْركُ به أحدًا . قُلْ إنّي لا أمْلكُ لكُمْ ضرًّا ولا رشدًا . قُلْ إنّي لنْ يُجيرني منَ اللّه أحدٌ ولنْ أجدَ منْ دُونه مُلْتحدًا [10]. إلاّ بلاغًا منَ اللّه ورسالاته ومنْ يعْص اللّهَ ورسُولهُ فإنّ لهُ نارَ جهنّمَ خالدينَ فيهَا أبدًا . حتّى إذا رأوْا ما يُوعدُونَ فسيعْلمُونَ مَنْ أضْعفُ ناصرًا وأقلُّ عددًا . قُلْ إنْ أدْري أقريبٌ ما تُوعدُونَ أمْ يجْعلُ لهُ ربّي أمدًا . عالمُ الغيْب فلا يُظْهرُ علَى غيْبه أحدًا . إلا منْ ارتضَى منْ رسُولٍ فإنّهُ يسْلُكُ منْ بيْن يديْه ومنْ خلْفه رصدًا . ليعْلمَ أنْ قدْ أبْلغُوا رسالات ربّهمْ وأحاطَ بمَا لديْهمْ وأحْصَى كُلَّ شيْءٍ عددًا﴾ .

---

(١) بخساً : نقص الحسنات .

(٢) رهقاً : زيادة في السيئات.

(٣) القاسطون : الجائرون عكس (القاسطون) بمعنى العادلين.

(٤) رشداً : خيراً.

(٥) غدقاً : كثيرا.

(٦) لنفتنهم : لنختبرهم .

(٧) يسلكه : يدخله .

(٨) صعدا : يعلوه وغلبه .

(٩) لبداً : جماعات بعضها فوق بعض/ متراكمين .

(١٠) ملتحداً : معدلاً ومنحرفا.

٣/١ : المواضع القرآنية الأخرى المتعلقة بالجن(*):

الأنعام : ١٠٠ ، ١١٢ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .
الأعراف : ٣٨ ، ١٧٩ . هود : ١١٩ . الحج : ٤٦ . الإسراء : ٨٨ .
الكهف : ٥٠ ، النمل : ١٧ ، ٣٩ ، السجدة ، ١٣ ، ١٤ ، سبأ : ١٢ ،
١٣ ، ١٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، الصافات : ١٥٨ ، فصلت : ٢٥ ، ٢٩ ،
الأحقاف : ١٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، الذاريات : ٥٦ ، الرحمن : ٣٣ ، ٣٩ ،
الناس : ٦ .

لم أذكرْ نص الآيات ؛ إيجازاً . ولأننا ربما لا نحتاجُ إلى كل المواضع القرآنية المذكورة أرقامها أعلاه ، ومن ثم فإننا سنذكرُ فقط ما نحتاجُ إلى ذكره في ثنايا المعالجة ، أمَّا من يحتاجُ إلى التعرف وقراءة هذه الآيات ، فليراجع مواضعها من المصحف الشريف .

جاء أمرُ هذا البحث على غيرِ سابقِ ترتيبٍ ، فلا أنا أردتُ أن أكتب عن هذه السورة ، ولا عن التصورات المطروحة فيه حول تحليل المادة ، ولا أنا اخترتُ مادتَها ، ولا آثرت هذه الكتابة في صياغة مكوناتها ، وفي بيان مظاهر استباك واحتباك البنية الكلية للسورة ، بل كان أمري خلافَ ذلك كله . كنتُ ذات ليلةٍ أسمعُ قراءة القرآن مع صفوةٍ من أقراني ، وطربتُ للشيخ وهو يقرأ سورة (الجن) من أولها ، وقد لفتَ انتباهي ما سمعته من تكرارٍ لضمير الشأن في عددٍ من الآيات الأولى ، بالإضافة إلى القضايا اللغوية الأخرى ، التي تأتي الإبانة عنها في قابل من البحث ، فأخذت أرجع فيها البصر مرةً تلو الأخرى ؛عسى أن أصلَ إلى شيءٍ من أسرارها ، وأخذت أسأل عن ماهيتها ، ولم أكنْ عندئذٍ أريد أن أخوض مَع الخائضين فيما يردُ من إجابةٍ على ما أطرحه من أسئلة ؛ حتى أتريثَ وأتثبتَ ، وأن آخذ الأمرَ بشيءٍ من الأناة ؛

(*) لم أذكر مواضع سورة الجن ؛ لأنني ذكرتها كاملة قبل هذا الموضع مباشرة في المتن.

ابتغاءَ الحقيقة ، لا غيرها ، عندئذٍ أخذتُ أُقلِّبُ الأمورَ ، وفي تقليب الأمور تزكية بإنضاجها، وأخذت أعيد النظر ، فيما يرد من إجابةٍ ، كان ذلك على فتراتٍ مختلفةٍ ، بيد أنها غيرُ متباعدةٍ . ومن ثم فإن اختيار مادة البحث تم بشكل عشوائي وليس وراءها إلا البحث العلمي الخالص .

وأرجو أن يكون كلامي في الحديث عن استباك واحتباك نص السورة واقعاً مواقعه ، وفي هذه السورة لا يمكن أن أصفَ وصفاً مجملاً ، ولا أن أقول قولاً مرسلاً ، بل لا تكون معرفتها في شيءٍ حتى يفصّل القول ويحصّل ، ونضع اليد على الخصائص الخاصة بها في أمر التماسك النصي ونعدها واحدة واحدةً ، ونسميها شيئاً فشيئاً .

وتنتظمُ هذه الدراسةُ في ثلاثةِ عناصر أساسية ، مشتملةً على عددٍ من العناصر الفرعية ، مظهرةً التماسك النصي داخل حدود السورة ، إضافةً إلى بعض المواضع الأخرى في النص القرآني ، مكونةً بنية هذا البحث إجمالاً ، ونحاول إبراز الركائز الأساسية فيما يلي :

١ / ٠ : ملاحظات أولية :

١/١ : اسم السورة .

٢/١ : نص السورة .

٣/١ : مواضع قرآنية أخرى مكملة لنص السورة .

٤/١ : مفاتيح البحث وملاحظ أُخَر .

٥/١ : تصور أولي .

٠/٢ : مظاهر السبك ودورها في التماسك النصي:

١/٢ : الإعادة بوصفها عنصراً للتماسك النَّصي :

٠/١ : الإعادة الصريحة ودورها في تماسك النَّص .

١/١ : الإعادة التَّامة .

١/ ٢ : الإعادة شبه التّامة .

٣/١ : الإعادة الجزئية .

٤/١ : الإعادة المطرفة .

١/ ٥ : الإعادة المشوشة .

٢ / . : الإعادة الضمنية بوصفها عنصراً للتماسك النّصي :

١/٢ : الإعادة بالضمائر ودورها في سبك بنية السورة :

١/١ : الإعادة بضمائر الشأن .

١/ ٢ : الإعادة بضمائر الذات .

١/ ٣ : الإعادة بأدوات العطف .

٣ /٠ : مظاهر الحبك ودورها في التماسك النّصي :

٣ /١ : المقابلة :

١/١ : المقابلة اللفظية :

١/١ : داخل حدود الآية :

١/ ٢ : خارج حدود الآية .

١/ ٢ : المقابلة المعنوية :

١/٢ : المقابلة بين المعاني داخل حدود الآية .

٢/٢ : المقابلة بين المعاني خارج حدود الآية .

٢/ ٢ : التفصيل بعد الإجمال :

٢/ ١ : داخل حدود الآية .

٢/ ٢ : خارج حدود الآية :

٢/ ١ : خارج حدود الآيات المتجاورة .

٢/ ٢ : خارج حدود الآيات المتباعدة .

٤/ ٠: التَناصُ بوصفه عنصراً من عناصر التماسك النصي :

١/٤ : التناص داخل حُدود السُورة .

٢/٤ : التناص خارج حدود السُورة .

٥/ ٠ : المراجع .

وعلى الانتظام والاتساق والكيفية الوارد عليها المخطط ، تعالج جوانب هذا البحث . وقد سقت هذا التصور عارياً من المثال ، مبقياً الإبانة عنه إلى قابلٍ من البحث .

وإذا كانَ أمرُ هذا التصور المقترح لهذا البحث جائزاً ، بل راجحاً ، وهو إنْ شاءَ الله كذلك ، كان عصيًّا أن يقنع المرء نفسه بأن الألفاظَ وَحدها كافية في تقديم ما نطمح إليه من الإبانة عن استباك واحتباك البنية المكونة للسورة من جهةٍ ، والعناصر الثانوية من جهةٍ أخرى . ولم يكن بيانُ هذه الأمور من القراءة اللسانية لسورة الجن ، إلا برجع البصر في مجملِ التراث التفسيري على تنوعه ، واستصفاء ما هو جديرٌ بالاستصفاء ، وجمعُ العناصر المتقاربة ، والمقابل بمقابله ، وبعناصر أخرى ماثلةٍ في نص السورة .

١ /٤ : مفاتيح السورة وملاحظ أُخَر .

وأستحسنُ أن أذكر في صدر هذا البحث ما سميتُه (فترة الدعوة ونتائجها) الخاصة بهذه السورة ، وبيانِ أقسامها المختلفة ، وكما ذكرته وشرحته شرحاً وافياً في التحليل ، ولم يكن أمرُ هذا التصور مقبولاَ ، بل معقولاَ ، ما لم يكن مهماً في تقديم الدعم لجوانب أحسبها مهمةً في كثيرٍ من المسائل الكاشفة لعدد من المواضع الخاصة بهذه السورة ، وسنرى تحقق هذه الرؤية عندما نتوجه شطر التحليل ، ومن ثم ارتأيت أن يكون هذا التصور المقترح في صدر هذا البحث ، لما له من أهميةٍ ، تنبني عليه وتتجلي به جوانبه ، حين نتابع التحليل متابعةً دقيقةً ، وأقترح أن تكون مفاتيحُ السورة على النحو التالي :

الفترة الأولى : (الدعوة) :

١) فترة الدعوة الأولى : الآية الأولى من السورة .

٢) فترة الدعوة الثانية : ثلاث آيات فقط ، رقم (١٨ ، ١٩ ، ٢٠) .

الفترة الثانية : (الإيمان) وتأتي من خلال مرحلتين :

١) المرحلة الأولى (الإيمان) : الآيات الثلاث الأولى(١ـ٣).

٢) المرحلة الثانية (التذكر) وتنضوي تحتها مرحلتان :

أ) المرحلة الأولى : تسع آيات ، رقم (٤ـ ١٣) .

ب) المرحلة الثانية : ثلاث آيات رقم (١٤ـ ١٧) .

غير أن النص القرآني تعتضد آياته ، بأن ما أُجمِل أو أُبهم في موضعٍ فُصّل في موضعٍ آخر أو العكس ، وعلى أساسٍ من ذلك ، يعتضد التقسيم المقترح أعلاه بإضافة عناصر لازمةٍ ومهمةٍ لجلاء كثيرٍ من جوانب ليست بخافية ، ها نحن أولاء نسوق بيانها على الترتيب السَّابق مشفوعةً بما يؤكدها ويزكيّها، ونَأخُذ الآنَ في بيانها في المطلب التالي :

الفترة الأولى : الدعوة :

١-فترة الدعوة الأولى : الآية الأولى فقط من سورة الجن .

٢-فترة الدعوة الثانية :

- ثلاث آيات فقط ، رقم (١٨ ، ١٩ ، ٢٠) من سورة الجن .
- خمس آيات ، رقم (٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) من سورة الأحقاف .

الفترة الثانية : الإيمان :

مرحلة الإيمان الأولى :

١- الآيات الثلاث الأولى من سورة الجن رقم (١ ـ ٣) .

٢- خمس آيات من سورة الجن ، رقم (٢١ ـ ٢٥) .

٣- آية واحدة من سورة الأحقاف (٣١) .

مرحلة الإيمان الثانية : التذكر :

١- المرحلة الأولى : تسع آيات ، رقم (٤ ــ ١٣) .

٢- المرحلة الثانية : ثلاث آيات ، رقم (١٤ ــ ١٧) .

أمَّا أقسامُ السورةِ المقترحة ، والمواضع الأخرى المعضدة لها ، فهي حسب الأحداث الزمنية ــ حسب تصورنا ــ نقترح أن نجلي ركائزها في المطلب التالي .

المرحلة الأولى: الدعوة :

فترة الدعوة الأولى :

- خمس آيات ، رقم (٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) من الأحقاف .
- الآية الأولى من سورة الجن (١) .

فترة الدعوة الثانية :

ــ ثلاث آيات من سورة الجن ، رقم (١٨، ١٩، ٢٠) .

المرحلة الثانية : الإيمان (فترة الإيمان الأولى) :

١- آية واحدة من سورة الأحقاف ، رقم (٣١) .

٢- الآيات الثلاث الأولى من سورة الجن ، رقم (١ ــ ٣) .

٣- خمس آيات من سورة الجن ، رقم (٢١ ــ ٢٥) .

المرحلة الثالثة : التذكر(فترة الإيمان الثانية) :

١- تسع آيات من سورة الجن ، رقم (٤ ــ١٣) .

٢- ثلاث آيات من سورة الجن ، رقم (١٤ ــ ١٧) .

ومع كلٍ ، فلست أريد أن أثبت أن يكون ما وصلنا من نص السورة مختلَ الترتيب ، وإنما كان أمري خلاف ذلك ، وقد ذكرت ذلك فيما يعرض من تحليلٍ، مما يغني عن ذكره في هذ السياق الاستهلالي .

وإذا كانت هذه (فترات الدعوة ونتائجها) ، فقد بقيت أمورٌ تدخل في مسائل الخلاف ، وأحسبُها من فروض الأعيان ، فيما يتصل بتحليل مظاهر السبك ، وقضايا أخرى تتعانقُ جميعاً فيما بينها لبيان شبكةٍ من الصلات المتعانقة على مستوى ظاهر النص وعالمه ، وحسبي من إبراز ذلك ما يرد في ثنايا التحليل .

والأقسام التي اقترحتها حقيقةٌ بأن تظفر ببيانٍ أوفى ؛ لما تشمله من العناصر المقترحة ، وأرجئ بيان تفاصيلها إلى قابل من البحث (ينظر : ٢ / . من البحث) إن شاء الله . والحق أن مجمل التراث التفسيري حافلٌ بنظرات غاية في الدقة والإحكام ، وأراها تحتاجُ إلى فضلِ بيانٍ ، حين نستقبل التحليل المقترح لهذا البحث . ومما ليس عليه ظلٌ لريبٍ أن كل ما سبق ، يُمثل إجمالاً لا تفصيلاً ، أرجو أن أوفق في الإبانة عنه صددَ الحديث عن التحليل .

وأمرٌ آخر لا بدَ من ذكره هنا ، مادام يتعلق بتفاصيل التقسيم ، قبل الدخول إلى ما نطمح إليه من تحليل لجوانب هذه السورة ، وهو التنبيه إلى دراسةٍ حديثةٍ [١] خصص صاحبها طرفاً منها حول تقسيم سورة الجن ، تحت عنوان التكرار، وأحسب أن التقسيم المقترح يمت بصلةٍ إلى ما اقترحته أعلاه ، ولي مع هذه الرؤية وقفةٌ متأنيةٌ مع ما أورده الباحثُ الفاضل من تقسيم . وخالصةُ قوله أن يتخذ منها متكأ لبيانِ الموائز في هذا المقام ، ويحاول إبراز العناصر الأساسية المكونة لتصوره ، وقد جاء تقسيمه خلافاً لما اقترحته في صدر هذا البحث من تقسيم لمواضع السورة ، مع أنني لم أطلع على هذه الرؤية إلا حين كنت قد أوشكت على الانتهاء من كتابة ما أردت كتابته ، بيد أن صعوبته ، ينبغي ألا تحملنا على نفض اليدين منه جملةً واحدةً ، وعلى التخلي

---

(١) د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢/ ٦٨ــ ٧٢.

عن ارتياده وتجشمه ، والتماس الوجوه ، وتمهيد الطريق التي تدني من الغاية أو تعين على بلوغها . وموجز اقتراحه حول التقسيم بيانه كالتالي :

١- الله تعالى . ٢- الرسول ﷺ .

٣- الجنّ . ٤- الذين آمنوا . ٥- الذين كفروا (١).

ومن يمعن النظر في هذا التقسيم ، يجدْ ملاحظ عدة ، يمكن أن تؤخذ في الاعتبار على هذا التقسيم المقترح ، ويحتاج المحورُ الأول المقترح إلى رجعِ البصر ، خاصةً أن إيرادَه على هذه الشاكلة ووضعه في صدر المحاور التي اقترحها ، لا بدَ أن يكون له مغزاه ، وله قيمةٌ في تكوين البنية الكلية لسورة الجن ، ورأينا فيما ذهب إليه خلافاً لذلك ، على الرغم من إعادة لفظ الجلالة بصيغه المختلفة (الله ، ربنا ، ربكم ، ربي ، عالم الغيب) لكن من ينظر في هذا المحور لا يجده ماثلاً في البنية اللغوية للسورة ، ويقع تقسيمنا السالف الذكر ، بناءً على البنية اللغوية الماثلة والمكونة للبنية الكلية للسورة ، وليس بناءً على الورود أو التكرار ، وإنْ كانَ هذا لا ينفي تكرار لفظ الجلالة في صيغ شتى ، والمذكورة أعلاه .

وعلى هدى من هذه الرؤية ، فإنّ أشكالَ لفظ الجلالة (الله ، ربنا، ربكم، ربي، عالم الغيب) مع الضمائر واقع مكانياً داخل أسوار السورة ، لكن من يرجع البصرَ في مجمل البنية اللغوية للسورة ، واستصفاء ما هو جديرٌ بالاستصفاء ، يلاحظ بادئ النظر أنّ الذات العلية تقع خارجَ حدود السورة ، وليست داخل حدودها ، كما في ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ . . . ﴾ فالوحي وإن كانت الذات العلية تقع لفظياً داخل حدود السورة ، بيد أنّ من يرجع البصر ويُمعِنه يجده يقع خارج حدود السورة (فقل أوحي) أي المُوحى ليس كائناً ، هذا من جهة ، ومن جهةِ أخرى ، فإن وقوع لفظ الجلالة بأشكاله ومترادفاته ،

(١) السابق : ٢/ ٦٨.

لم يأتِ من الحق على لسان نفسه ، وإنما من خلال أشكال عديدة ، أوردها على النحو التالي :

١ــ على لسان الجن :

أ- لفظ (رَبُّ) وما يُشتق منه .

ب- لفظ الجلالة (الله) .

٢ــ على لسان النبي صلى الله عليه وسلم :

أ- لفظ (رَبُّ) وما يشتق منه .

ب-لفظ الجلالة (الله) وما يشتملُ عليه .

ج-عالم الغيب .

ونستبينُ من هذا التقسيم ، أنَّ الأشكالَ التي يأتي من خلالها لفظ الجلالة (الله ، وربنا ، ربكم ، ربي ، عالم الغيب) وردت إمَّا على لسان النفر من الجن، وهو الذي شغل مساحةً أكبر على سطح القرطاس ، بدايةً بالآية الأولى ، حتى الآية السابعة عشرة ، وإمَّا على لسان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو القسم الأقل . وبناءً على ذلك ، فإن ورود الذات العلية ، إنما تحيل إحالةً خارجيةً ، وليست داخليةً ، إضافةً إلى الضمائر المستترة ، وقد نوهت إلى شيء من هذا في موضعٍ آخر .

ويُفضي بنا هذا التنويه الأخير إلى رأس الملاحظ ، أنَّ هذا التقسيم ، وإنْ كان يقبل ظاهرياً ، لا يتمتع بسمة الاستمرارية ، ولا يصمدُ أمام التحليل الدقيق، وهي رؤيةٌ لا تستبينُ إلا لمن يديمُ النظر ، لأن ما سيق من لفظ الجلالة في أشكاله المتنوعة ، وردَ على لسان المؤمنين (نفر) من الجن ، وعلى لسان النبي ــ ﷺ ــ ومن ثمَّ فإن اعتبارَه عنصراً أساسياً لا برهانَ له به ، أمَّا من حيث اعتباره عنصراً موجوداً ، وقد كُرِرَ ، فهذا أمرٌ لا مريةَ فيه ، بيد أن الناظر فيه

يجده يرد من خلال الموضعين سالفي الذكر ، وهذا ما لحظه الباحث في موضع آخر، حين ذكر أنّ الإحالة الخاصة بالحق سبحانه وبكفار قريش والرسول – ﷺ – إحالة خارجية [1]. باعتبارها عناصرَ تقع خارجَ النص ، وهي رؤيةٌ دقيقةٌ، مقارنة بتقسيمات الباحث الواردة في الجزء الثاني ، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى تنقض رؤية الباحث في ذلك الموضع ، والتي أدلينا بدلونا فيما سقناه من حديثٍ أعلاه .

ويفضي بنا هذا التنويه الأخير إلى القضية الأساسية التي تجمعُ النبي – صلى الله عليه وسلم – والنفر من الجن ، قضية الإيمان ، فالمنطلقُ واحدٌ والغايةُ واحدةٌ ، وهي الإيمان وعدم الشرك به في كل شيءٍ، مما يكشف عن القواسم المشتركة فيها ، كما في الآية ٢ ، والآية ١٨ ، ٢٠ . والعلاقةُ الجامعةُ بين هذه الآيات ، هي (الإيمان) بالله وعدم الإشراك به ، ويتحقق ذلك على لسان الجن ، وعلى لسان النبي – ﷺ – ومن هُنا نجد التناص في هذه الآيات قائماً على الجمع والتدعيم ، كما أن لفظ(أحداً) الوارد مع كل هذه الآيات ، ولفظ (أشرك ، نشرك) يُدعم هذه الرؤية من ناحيةٍ ، ومن ناحيةٍ ثانية، تستبك وتحتبك هذه الآيات المتباعدة على سطح القرطاس عن طريق الإعادة الصريحة بأشكالها المذكورة في قابل من البحث (ينظر: ١/٢ من البحث) ومن ناحيةٍ ثالثةٍ ، يرتبط القسم الثالث بالقسم الأول ، من حيث الاستباك والاحتباك بين الأبنية (الأقسام) الكبرى المكونة لأجزاء السورة .

بقيتْ قضيةٌ مُلبسة على الباحث ، حين جعل (الذين آمنوا ، والذين كفروا) قسمين في إطار السورة، ومن ينظر إلى السورة نظرة العجلان ، يجد ذلك صحيحاً ، بيد أن من يطيل النظر يجده يحتاج إلى مراجعةٍ . فحديثُ الجن في السورة وردَ على لسان النفر الذين آمنوا في كل أرجاء السورة ، وهذا أمرٌ

---

(١) ينظر : د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١ / ٢٢٣.

يجده يرد من خلال الموضعين سالفى الذكر ، وهذا ما لحظه الباحث في موضع آخر، حين ذكر أنّ الإحالة الخاصة بالحق سبحانه وبكفار قريش والرسول – ﷺ – إحالة خارجية [1]. باعتبارها عناصرَ تقع خارجَ النص ، وهي رؤيةٌ دقيقةٌ، مقارنة بتقسيمات الباحث الواردة في الجزء الثاني ، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى تنقض رؤية الباحث في ذلك الموضع ، والتي أدلينا بدلونا فيما سقناه من حديثٍ أعلاه .

ويفضي بنا هذا التنويه الأخير إلى القضية الأساسية التي تجمعُ النبي – صلى الله عليه وسلم – والنفر من الجن ، قضية الإيمان ، فالمنطلقُ واحدٌ والغايةُ واحدةٌ ، وهي الإيمان وعدم الشرك به في كل شيءٍ، مما يكشف عن القواسم المشتركة فيها ، كما في الآية ٢ ، والآية ١٨ ، ٢٠ . والعلاقةُ الجامعة بين هذه الآيات ، هي (الإيمان) بالله وعدم الإشراك به ، ويتحقق ذلك على لسان الجن ، وعلى لسان النبي – ﷺ – ومن هُنا نجد التناص في هذه الآيات قائماً على الجمع والتدعيم ، كما أن لفظ(أحداً) الوارد مع كل هذه الآيات ، ولفظ (أشرك ، نشرك) يُدعم هذه الرؤية من ناحيةٍ ، ومن ناحيةٍ ثانية، تستبك وتحتبك هذه الآيات المتباعدة على سطح القرطاس عن طريق الإعادة الصريحة بأشكالها المذكورة في قابل من البحث (ينظر: ١/٢ من البحث) ومن ناحيةٍ ثالثةٍ ، يرتبط القسم الثالث بالقسم الأول ، من حيث الاستباك والاحتباك بين الأبنية (الأقسام) الكبرى المكونة لأجزاء السورة .

بقيتْ قضيةٌ مُلبسة على الباحث ، حين جعل (الذين آمنوا ، والذين كفروا) قسمين في إطار السورة، ومن ينظر إلى السورة نظرة العجلان ، يجد ذلك صحيحاً ، بيد أن من يطيل النظر يجده يحتاج إلى مراجعةٍ . فحديثُ الجن في السورة وردَ على لسان النفر الذين آمنوا في كل أرجاء السورة ، وهذا أمرٌ

---

(١) ينظر : د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١ / ٢٢٣.

مقررٌ في التراث التفسيري على تنوعه ، وما أورده الباحثُ من تقسيم الجن إلى مؤمنين وكافرين ، أطلقت عليه فترة (التذكر) من النفر الذين آمنوا من الجن ، وقد ورد أيضاً على لسانهم هم ، أن منهم مؤمناً وكافراً ، وقد جاء حديثهم في هذا السياق حين آمنوا ، أي الفترة الأولى ، وقد أفرزتَ مرحلةَ (الإيمان) الأولى، مرحلة (التذكر) أو مرحلة الإيمان الثانية ، والعلاقة القائمة بين القسمين علاقةُ المقابلة .

وقد استدعت فترةُ الإيمان الأولى (الآيات من ١ ــ ٣) فترةَ الإيمان الثانية (أو حالة التذكر الأولى) تلك الحالة التي كانوا عليها قبل الإيمان (حالة الكفر) ، ومن هنا ، فإن الكافرين من الجن لا مكانَ لهم داخل حيز السورة ، وقد ورد ذكرهم حين أشار النفر الذين آمنوا من الجن إلى ما كان منهم في الماضي ، وبالتالي لم يردْ هذا الكلام على لسان الكافرين أنفسهم ، بل على لسان المؤمنين منهم ، ومن ثم فإنّ المحور الأول (الله تعالى) والمحور الخامس (الذين كفروا) يمثلان إحالةً خارجيةً ، ولا يقعان بشكلٍ مباشرٍ داخلَ حدود السورة ؛ لأنّ الحديث الوارد ، لم يرد على لسانهم مباشرة ، وإنما جاء على لسان المؤمنين من الجن ، وحتى (الذين آمنوا) من ينظر إليهم يجدهم هم المؤمنين من الجن ، ومن هنا ، فالتداخلُ ظاهرٌ بين ما اقترحه الباحث من المحور الثالث والمحور الرابع ، وكذلك المحور الأول والمحور الخامس ، فالإحالةُ فيه خارجية ، وعلى هذا الأساس ، نقترح أن يُدمج المحور الثالث والرابع مع (المؤمنين من الجن) ، ويتم حذفُ اقتراح المحور الأول والخامس، ومن هنا تتبقى إحالةُ الإيمان فقط ، التي يتم التعامل معها من خلال مراحل عدة ، أشرت إليها في صدر هذا البحث ، ذلكم هو تحصيل القول في شأن تقسيم السورة ، ودور هذا التقسيم المقترح في استباك واحتباك البنية

الكبرى للسورة ، ولنا عودةٌ بفضل مناقشةٍ وبيانٍ حول هذه المواضع ، كلما دعت الحاجة .

وأراني قد صعبت الأمر جداً ، ولكني لم أصفْ إلا ما وجدته في السورة ، وإنْ كان هذا كائناً في بعض السور القرآنية الأخرى ، وليس في ذلك التقسيم شيء من المؤاخذة ، ما دامَ هذا التقسيم – إن وجد – يمهد الطريق لجوانب التحليل ، وعلينا أن نستقبل الأشياءَ المُلبسة ونقلبّها على وجوهها ؛ حتى نخلص إلى ما نرضى عنه ، فإنّ الأمر أكبر من أن يؤخذ باستخفاف ، والاستخفاف أخدود الزلل ، والزلل أقصر طريق إلى هلاك العقل وبوار المعرفة ، كما قال الشيخ محمود شاكر .

وفيما أرى إن هذا لبُ التقسيم بلا حواشٍ ، فمن الخطأ أن نركن إليه على أنه من المسلمات ، لا شك فيه ؛ لأن هذا يورثنا الإلف الشديد ، ونحن إذا ألفنا تقسيم السورة على هذه الشاكلة ، ربما جرنا إلى وضع الأمور في غير موضعها ، وإذا غلبَ هذا الإلف ، فربما أضرّ ، فيصير ذلك حائلاً بيننا وبين إدراك حقيقة مغزى السورة ، والأصل الذي بنيت عليه، إلى تقسيمات تبرأ منها السورة ، ويبرأ منها الحق جل وعلا ، وربما تقودنا إلى تصورات بعيدة عما نطمح إليه في هذا البحث .

أمَا وقد فرغتُ من أمرِ القولِ فيما اقترحته من تقسيم للبنية اللغوية لسورة الجنّ ولمواضع أخرى من النَّص القرآني تتعلق بها ، فلم يبق إلا الكلام على تحليل العناصر المكونة لبنية هذا البحث ، وقد جاء ما أوردته فيما مضى من البحث على وجهِ الإجمال ، وها أنا ذا أسوقه كاملاً بشيءٍ من الإبانة والتفصيل ، فيما يرد من تحليل ، بعد الفاتحة التي لا مناصَ منها للناظر في أمر بيان استباك واحتباك النصوص عامةً ، والنص القرآني خاصةً .

١ / ٥ : تصورٌ أولي :

بيَّنّ أن تقديم تفسيراتٍ على شاكلةِ التحليل النصي للنص اللغوي ، لا يقتصرُ على مجرد معرفتنا بالألفاظ ومعانيها ، كما أوردتها كتبُ اللغة ، بل يتوسمُ أن تتجاوزَ ذلك إلى فضاءاتٍ أرحبَ، وهي متباينةٌ من نصٍ إلى آخر ، بل إنّ الأمر في النص القرآني أكثرُ صعوبةً ووعورةً ، فمسالكه متشعبةٌ ومتشعثةٌ ، والآيات بعضها آخذ برقابِ بعض ، حتى إنك تجد من الصعوبة فصل آيةٍ عن أخرى سابقة أو لاَحقة أو في مواضع منتثرة قسراً ، وأما الألفاظ فأمرها مختلف فيه .

فضلاً عن أن تمثّل النص القرآني أمرٌ عسيرٌ وشاقٌ ؛ لأنه لا يعتمد على الألفاظ وحدها ، وإنما ينظر إليها من جهاتٍ عدةٍ ، كالسياقات اللغوية وغير اللغوية ، التي تعملُ على استباك واحتباك بنية ظاهر النص وعالمه ، كلُ هذا ينتظمُ في نظريةٍ لغويةٍ معاصرةٍ ، تعتضد من خلالها كل هذه الأمور ؛ لبيان قدرةٍ كافيةٍ لهذه الأنحاء على الكشف عن وحدة النص . والذي أراه أن في الأمر إيجازاً يحتاجُ في الإبانة عنه تفصيلاً .

وإذا أردنا أنْ ننظرَ إلى الاتجاهات التي تتعامل مع النصوص وجدناها عدةً ومختلفةً ، وإذا كان بعض الباحثين قد أَوْلَوْا النصوص الشعرية عنايةً خاصةً ، فإنّ العناية بالنص القرآني أولى والاهتمام به أجدر ، وجهات التماسك وطرائق البحث فيه أجدى . ولن أذكر تفاصيلَ حول تلك الاتجاهات ، فلها مظانُها [١]، ومنْ شاء فليرجع إليها. على أنني وإن كنت مُعرِضا عن ذكر التفصيلات حول ذلك ، فإن هذا لا يقف حجر عثرةٍ في ذكر العناصر الموجزة لنظرية " ايزنبرج" حول نظرية النص ، وكنتُ قد استظهرتها في بحثٍ سابقٍ ،

(1) Beaugrande R. De / Dressler W . : Einführung in die Textliguistik, Isenberg H . Überlegungen zur Texttheorie. Kallmeyer W. (und Andre) : Lektürekolleg zur Textlinguistik Band 1 : Einführung . Van Dijk, T. A . : Aspekte einer Texgrammatik Vater, H. : Einführung in die Textlinguistik

وخلصتُ ثمة أنها تمثل الأساس المنهجي الذي طوَّرَه واعتمد عليه ـ فيما بعد ـ بوجراند / درسلر[١]، وعقدتُ مقارنةً بينهما وبين قضايا تراثية ، خاصة البلاغيةِ منها . وموجزها نستقبله فيما يرد بفضلِ بيانٍ . وموجزُ رؤية إيزنبرج حول المعايير الكلية للنص ، أنها تمثل عناصرَ كليةً ، وموجزها كالتالي[٢]:

١- الشرعية الاجتماعية (النصوص بوصفها تجليات لفعل اجتماعي).

٢- الوظيفة الاجتماعية (النصوص بوصفها وحدات ينقسم فيها الاتصال اللغوي) .

٣- الوظيفة الدلالية .

٤- الارتباط بموقف .

٥- المقصدية .

٦- جودة السبك .

٧- كمال التأليف[٣].

ويدفعني هذا التصور لدي كلٍ من إيزنبرج وبوجراند / درسلر حول كليات النص / معاييره أن أراه قريباً من تصور البلاغيين العرب ، ولكي

---

(١) العناصر الأساسية المكونة لـ" نظرية النص" (إيزنبرج نموذجاً) دراسة تحليلية نقدية ص٤٤ ، لكاتب هذا البحث.

(٢) السابق ، ص ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦ . حيث نقلت هذه الجزئية عما ورد ثمة لأنها تمت بصلة إلى ما نحن بصدده.

(٣) فولفجانج / ديتر : مدخل إلي علم لغة النص ص٥٢ ، ينظر خواص كليات النص ذاتها لدي زتسيسلاف : مدخل إلي علم النص ص٣٠ ، ٣١ مع فارق ضئيل في العناصر ، حيث عنصر" النحوية " لم يرد عند فولفجانج / ديتر.

تتضح المقاربة المنهجية ، إن صحت ــ وهي إن شاء الله صحيحة ــ أعرضُ لمثل هذه العناصر في التراث البلاغي[1] على النحو التالي :

الشرط الأول : شرط الصياغة ، ويقصد به حسن اختيار اللفظ وصحة السبك جميعاً ، وينبغي أن يُضاف مع شرط الصياغة اعتبارات أسلوبية أخرى ، مثل : تجنب الحشو ، وتجنب المعاظلة ونحوهما، وهذا يمثله مصطلحُ Kohäsion : السبك ، في رأيي .

الشرط الثاني : الشرط المعنوي ، ويقصد به وضوح المعنى ، وارتباط المبدأ بما بعده ودلالته عليه في الوقت نفسه ويمثله مصطلح Kohärenz : الحبك .

الشرط الثالث : الشرط المقامي : ويُقصد - من خلال ملاحظاتهم المتفرقة - أمور عدة نوجزها فيما يلي :

أولاً : رعاية حال المخاطب .	الشرعية الاجتماعية
ثانياً : رعاية الدور الاجتماعي للمخاطب .	الإخبارية
ثالثاً : رعاية الموقف الخارجي[2].	*المقاماتية*
	الاتصالية

وإذا كنا نحاولُ أن نختبر تلك المعايير اللسانية باعتبارها إنجازاً معاصراً ، فإن هذا ــ على حد قول د. مصلوح ــ يستدعي إقامةَ نوعٍ من الجسور الواصلة بين هذا النمط الوافد من التحليل والموروث النحوي ، إذْ إننا

---

(1) يحتاج هذا العرض الموجز لاستخلاص هذه المعايير من البلاغة العربية إلى دراسة مفصلة، صحيح هي موجودة ، بيد أنها منتثرة في مواضع عدة من كتب البلاغة ، وبالتالي فإن الجديد هو صياغتها وتقديمها في إطار نظرية عربية خالصة.

(٢) د. محمد العبد : حبك النص منظورات من التراث العربي ، ص ١٥٧ : ١٥٩ (بتصرف).

نؤمن أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام - يعني إهدارَ أربعة عشر قرناً من النتاج اللساني المتميز ، الذي هو إنجازُ قومٍ من أعلم الناس بفقه العربية وأسرار تراكيبها وذخائر تراثها ، وما يكون لنا حقاً، إذا كنا من أولي الألباب ، أن نلوي رؤوسنا إعراضاً عن كنوزٍ هي عمر هذه الأمة ، ومركب جوهر من مركبات ثقافتها[1].

وتفيدنا هذه المقولة في شيئين ، الأول : أننا لن نبدأ من الصفر ، إذْ نعتمدُ مقولات النحاة والمفسرين في التحليل . الثاني : إذا كان هؤلاء القوم هم أعلمُ الناس بفقه العربية ، وهذه رؤيةٌ عامةٌ تحتاج إلى فضلِ بيانٍ من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى ، تحتاج إلى كيفية تحققها على العربية ، وأرى أنّ تحليلَ النص القرآني قد أخذ طرائق قدداً ، بحيث صار يستوعبها جميعاً .

على أن من بين هذه التفسيرات ما توجه تلقاء الترابط النصي بوجوهه المتنوعة، وهي كثيرةٌ ، وتتفق كلها حول إظهار التماسك النصي بين آيات وسور القرآن بعضها ببعض ، وإذا كان د. مصلوح قد استظهر أن قضايا النحو العربي غير صالحة للاستثمار في " نحو النص " ، فإن هذا فيما أرى ليس على إطلاقه ، وهو فيه عكس ما ذكره الباحث الفاضل ، من أننا لا يمكننا أن نبدأ من الصفر المنهجي ، فإذا كان لا يمكننا تطبيقها على النحو العربي ، وإن كان هنالك بعضُ الأبواب التي يمكن أن تكون متكأ ، هذا من جهةٍ ، كما أن " نحو النص " لا يرفض الأفكار المطروحة في نحو الجملة ، وإنما يطورها وينطلق منها ، وعلى هذا فإن أفكار النحو العربي يمكن الإفادة منها لتصورات أوسع ؛ لأننا على حد قوله : لا يمكننا أن نبدأ من الصفر ، وهي مقولةُ حقٍ لا شوبَ فيها ، وإن كانت تنتفي بما خلص إليه أن قضايا النحو العربي ليست بصالحةٍ للإفادة منها في " نحو النص " ، ويمكننا أن نجد تلك التصورات في بيئةٍ

(١) د . سعد مصلوح : العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ص٤٢٣.

إسلامية أخرى ، والعلامةُ الفارقةُ أنّ " نحو الجملة " يعتبر الجملة أكبر وحده ، بينما " نحو النص " يعتبر النّص أكبر وحده ، ومن ثمّ فالصلات الشابكة للعناصر اللغوية ، لا تخرج على حُدود الجملة ، وإنما تدور داخلها ، ولا تتعدى ذلك ، وهذا مجمل رؤية النحاة ، وعلى الرغم من ذلك ، فإنّ هنالك نظرات نيرةً لو استثمرت الاستثمار الأفضل لأفضى إلى تحليل نصي ذي بالٍ .

وإذا كانت رؤيةُ النحاة تتعامل مع النحو داخل أجزاء الجملة الواحدة غالباً ، فإنّ ثمة جوانبَ تتعدى أسوار الجملة الواحدة ، كالربط بين جملتين أو أكثر ، وعلى ذلك تُقاسُ الجوانب التي تفيدنا في ثنايا التحليل ، ومن هنا نستشعر هذه القضايا في التحليل ، فعدمُ إمكانية الإفادة من جانب ، لا يعني أن جوانب التحليل الأخرى غير صالحةٍ . وحاصلُ ذلك ، أننا نحاول في هذا البحث الإفادة من بيئتين ، الأولى : التراث التفسيري ، خاصة ما يهتم بجوانب التماسك النصيّ ، أعني التركيزَ على العناصر المكونة لاستباك واحتباك النص القرآني ، وثمة عددٌ من التفاسير منها تفسير ، الرازي : مفاتيح الغيب ، والألوسي : روح المعاني ، أبو السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . . . إلخ ، إضافةً إلى المؤلفات التفسيرية المختصة بذلك مثل :

١- أبو جعفر أحمد بن الزبير : البرهان في ترتيب سور القرآن .
٢- الإمام البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .
٣- السيوطي : تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور .
٤- صديق الغماري : جواهر البيان في تناسب سور القرآن .
٥- أحمد الخطيب : نظرة العجلان في أغراض القرآن .

ويحمدُ لشيوخ العربية خوضهم في هذه القضية ، على اختلاف مع المناهج اللسانية النصية ، مع تمكنهم من لسان العرب وإحاطتهم بأكثر تصاريف اللغة . ويرجع هذا إلى اختلافِ الأدواتِ والتفكير، ولا ينفي علمهم

بالقواعد الأساسية ، لما يمكن أن يكون عليه علم النص في التراث العربي؛ ليحدث التواصل البحثي بين القديم والحديث ، الذي ربما يجسد هذا البحث بعض جوانبه .

وسيلاحظ في ثنايا المعالجة النصية لبنية السورة ، أن رؤيةَ المفسرين تخرجُ على قيود النحاة الضيقة، وقد أتاح لهم هذه النظرةَ اعتمادُهم على القرآن الكريم في جوانبه المختلفة ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن هذا لا يمنعنا من الإفادة من التصورات المطروحة لدى النحاة ، والتي نحاول أن نستثمر ما يُتاح لنا أن نوظفه ، كلما وسعنا الحوال صدد المعالجة .

وقد تعددت اتجاهاتُ أولى العلم في اللسانيات النصية حول كيفيات التعامل مع النصوص على تباينها، غير أن قسماتِ المقارنة بينها جميعاً ، تظهر إنْ هي إلا محاولاتٌ مختلفةٌ للنظر إلى النصوص على اختلافها من وجوه عدة، وسنحاول أن نستظهر العناصرَ الأساسية السابكة والحابكة لبنية السورة ، وسيلاحظ القارئ الكريم ، أن كلّ القضايا المطروحة حول هذا البحث ، إنما تحاول كشفَ هذه العلاقات على مستوياتٍ متباينةٍ حيناً ، ومتداخلةٍ في أحايين كثيرة .

وإذا كان الباحثون قد اتفقوا على أن النص قد يكْونُ مكتوباً أو منطوقاً ، فثمة جوانبُ المفارقة بينها ، تتبدى بوضوحٍ حين التعامل مع كلٍ منها منفرداً . على أية حالٍ ، فإنَّ هذه قضية قد فرغ منها الباحثون ، فمنْ شاءَ المزيدَ ، فليرجع إليها في مظانها .

وموجزُ رؤية أُولي العلم في هذا الشأن ، أن النصَ المكتوب يعتمد في تحليله على العناصر اللغوية والعناصر المفهومية غالباً ، وحاصل ذلك أن ثمة معايير أخرى ، تقع خارجَ التحليل ، فيما يتعلق بالنّص المكتوب ، وإن أمكن في بعض الأحيان الإفادة من السياق غير اللغوي . أما النص المنطوق ،

فتتوافر فيه عناصر أكثر ، وعلى هدى من هذه الرؤية ، تتاح للنص المنطوق معايير تحليلية كاشفة أكثر ، مما هي عليه في النص المكتوب ، وربما تتيح إظهار جوانب تحليلية أكثر ثراءً في النص المنطوق ، وتمثلُ هذه رؤية عامة. لكن النص القرآني – وإن وُسِمَ بسِمةِ النصيَّة – نرى لـــه موائزَ فارقة ، تضعه في مصاف عليين ، زيادةً على ما اقترحه الباحثون في اللسانيات النصية ، أعني أنه على الرغم من أن النص القرآني نصٌ مكتوب ، فإنه ينماز عن النصوص اللغوية الأخرى فيما أرى ، إذ تضاف إليه معايير أخرى في التحليل، زيادةً على ما ذكرنا أعلاه ، كالمقام والتناص ، إضافة إلى معايير أخرى إضافية كلما دعت الحاجة .

ما أريد أن أنجزه ، أنّ النص القرآني تتوافر فيه أربعة معايير أساسية في التحليل : السبك ، الحبك ، المقام ، التناص ، والعنصران الأخيران ، إن توفرا في بعض النصوص ، لا يمكن توافرها في بعض النصوص الأخرى* ، إلا أنهما في النص القرآني ، يمثلان عناصر أساسية في التحليل ، وسنلاحظ في ثنايا التحليل مدى تحقق هذين المعيارين ، مما يجعل منهما معيارين فارقين ، خلافاً للنصوص المكتوبة .

ويعتمد استخلاصنا لهذه الرؤية على أن القرآنَ يُفسر بعضُه بعضاً ، وهي رؤيةٌ قائمةٌ على إظهار جوانب المقارنة بين ظاهر النص وبين عالمه ، فيما يطلق عليه (التناص) في اللسانيات النصية ، كما أن جوانب المقام ليست بخافيةٍ في بيئة المفسرين ، وأشار المفسرون على اختلافهم إلى مواضع كثيرة من السياقات غير اللغوية . وقد خُصِصتْ كتبٌ للمقام ، دليلاً على أهميته في الاتجاه التفسيري ودوره الكاشف لجوانب كثيرة ، ربما تعجز البنية اللغوية في كثيرٍ من الأحيان عن إظهارها ، وعلى ذلك ، فإن كتاب النيسابوري والسيوطي: أسباب النزول يقفان شامخين في هذا الاتجاه . وبناء على هذا

الاستخلاص فإنّ ثمة فارقة للقرآن تميّزه في التحليل عن النصوص الأخرى ، ومن هنا فإنّ هذه الرؤية تجعل ما يلي من تحليلٍ به عددٌ من العناصر الأخرى التي لا يمكن توافرها بشكلٍ كبيرٍ في غير النص القرآني .

وإذا كانت العناصر الأربعة (السبك ، الحبك ، المقام ، التناص) تُمثل عناصر قائمة في تحليل النص القرآني ، فإن عناصر أخرى باقية (الإعلامية، المقبولية ، القصدية) وهي أيضاً ماثلة في التحليل ، وسيكشف التحليل في أحد جوانبه عن مدى تحقق هذه الرؤية . ومع ذلك فإن علماء النص يرون أن النص الذي تتحقق فيه هذه المعايير كاملة ، يُطلق عليه (نص تامٌ كاملٌ) ، أو كامل النصية ، بيد أن هذا لا يمنع من تحقق النصية في تلك النصوص التي يتوافر فيها المعياران المختصّان بالنص ، وعلى هذا الاستنتاج ، فإننا يمكننا عَدُّ النَّص القرآني نصًّا كامل النصيّة ، خلافاً للنصوص الأخرى غير القرآنية التي قد تتوافر فيها هذه المعايير وقد لا تتوافر .

وقد انتبذ الباحثون المعاصرون من اللسانيات النصية مكاناً قصيًّا ، ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف، إلا ثُلَّةٌ من الأولين ، وقليلٌ من الآخرين ، وقد أفضت رِدَّةُ المتأخرين منهم وعزوفهم عن الرجوع إلى المصادر الأساسية التي كُتبتْ بها هذه المؤلفات – إلى أن دراساتهم جاءت إمّا تكراراً، وإما مبتورةً يعوزها قصورٌ في النظرة ، وقلٌ في الحِيلة في جمع العناصر المبيّنة لجوانب التماسك النصي . وحاصلُ كل ذلك إنما تأتي عن قصرٍ في المعرفة الأصلية بتلك المؤلفات ، وقد حاولوا جميعاً أن يرتقوا مرتقى صعباً . ويصدق على أولئك قولُ علم من أعلام العربية ، حين تعرض لمثل هذا الموضع ، فقال : وهو نهجٌ صعبٌ الجانب ، متشعبُ المذاهب ، سالكه سارٍ على غرر ، فمن رام فيه التوغل بلا موهبة أوتيها ، وبلا عدة هيأها ، وبلا ورعٍ يكفكف من جرأته

وتهوره – بلغ الغاية في الإساءة ... ولن يأمن أن تزل قدم إلى مهوى بعيد القرار[1].

وأنا إذن غيرُ منصفٍ ولا محسنٍ ، إذا تركتُ هذه الجزئية في هذا العزل الذي سقته عليها أعلاه فرضاً ، فواجبٌ عليَّ أنْ أردها إلى منابعها ، حيث نمتْ واستوتْ وأثمرت ، إذ انبثقَ أولُ بثقٍ ما نعرفه اليوم باللسانيات النصية ، على فتراتٍ متباعدةٍ حتى استوتْ على سوقها في منتصفِ الستينيات وبلغَ مبلغاً عظيماً فيما تلا ذلك ، وهو بابٌ من أبوابِ العلمِ الذي فاضَ في الآونةِ الأخيرة ، أرادَ به أصحابُه بكلامهم فيه ونظرهم : تقديم العديد من الحلول التي لم تستطع الأنحاء التقليدية أنْ تقدمَ لها حلولاً ، وهي كثيرةٌ وتنظرُ إلى النصوص من وجوهٍ عدةٍ ، وتلتقي جميعها في أنها تنظرُ إلى النصوص لتفسيرها . وها نحن أولاء نشرعُ في تحليل جوانب من السورة في المطلب التالي .

وبعد ، فقد أخلصتُ الصفحات السابقة لبيانِ الركائز الأساسية التي قامتْ عليها البنيةُ اللغوية في سورة الجن ، ومواضع أخرى من النص القرآني، بما تشتملُ عليه من عناصر لغوية مكونة لمظاهر السبك ، وكلها تتحققُ في أنماطِ متداخلةٍ ومتعانقةٍ ، وهي تتباينُ من نصٍ إلى نص ، كما تتباين داخل النص الواحد ، بما يشتمل من الأبنية الصغرى المكونة للبنية الكبرى .

إذا كان النص الشعري العربي ـ كما يرى د . مصلوح ـ والشعري العمودي على نحو أخص أسعد حظاً ، من حيثُ اشتماله بادئ النظر على علامات شكليّة ، توفر له إطاراً محسوساً وتحقق للنص سمة الاستمرارية

---

(١) محمود محمد شاكر : نمط صعب ونمط مخيف ص ١٣٩، وإن كنا وجهنا وجهته إلى ما نحن بصدده.

الظاهرة للعيان ، ونعني بها قيامَه على نوع من الإيقاع والتقفية بدرجات تتفاوت من الحرية [١].

غير أن عمود الصورة يوشك أن يقع ، خاصةً أنها سِمةٌ خاصة بالشعر العربي العمودي ، وهذا أمرٌ لا مريةَ فيه ، ويبقى أن ما يحتاجُ إلى إعادة النظر، أن سِمةَ الاستمرارية تتحقق في تلك النصوص التي تتسم بالنَّصية ، وإلا زالَ الوصف ، وانقطعت السُبل ، ولم يقل أحدٌ من الباحثين إنّ بها صفة الإيقاع عموماً ، وإنْ كانت هذه السمة تسمه بميسمٍ مفارقٍ عن غيره ، وهذا ما أشار إليه د . مصلوح فيما تلا ذلك[٢]. على أية حالٍ، فإذا كان يمكن تقسيم النص الشعري ــ حسب اقتراح مصلوح [٣]، فإنّ لهذا مرجعاً يسبق اقتراحَ مصلوح، وإن كان قد طوَّر الفكرة ، وأفاد مما أورده له، فنقرأ في الدواوين الشعرية ، فنجد المحققين ، يُقسمون القصيدة أقساماً ، حسب العلاقة القائمة بين هذه الأبيات، ويضع بينها فواصل هكذا (×× ×) بين المجموعات المقسمة ، على أن هذه المجموعات ترتبط فيما بينها بروابط ظاهر النص وعالم النص ، كَأنْ يأتي البيتُ الأخيرُ من كل مجموعةٍ مقترحةٍ مشتملاً على لفظٍ مبهم ، وتفسيره يكوّن القسم / المجموعة التي تليه . على أية حالٍ ، فإن هذا الأمر يحتاج في الإبانةِ عنه تفصيلاً ، ولنا في موضعٍ آخر عودةٌ له بفضل بيانٍ ومناقشة ، إنْ شاءَ الله .

وبناءً عليه ، فإن التقسيم قائمٌ في النص دون الإفادة منه ، بيد أنه يُشير دون التصريح بالمراد منه ، وإنْ كان يحمل دلالاتٍ عدة . وإذا كان الشعر العربي الحديث فيه من العلامات الدالة ومن الشاعر نفسه معيناً للمتلقي على

---

(١) د. سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري ص١٥٥.

(٢) السابق ص١٥٥.

(٣) السابق : الموضع ذاته.

تقسيم القصيدة أقساماً – يُمكن أن يتخذَ منها هادياً للكشف عن العلاقة بين عالم النص وظاهره . وتظهر هذه التجزئة في حال الطباعة بأشكال تتفاوت بساطة وتعقيداً ، ولكنّها موجودة أبداً ، أمّا في القصيدة القديمة ، فلا شيءَ من ذلك مطلقاً ، بل لا إحساسَ للحاجة إليه أصلاً [1].

من هنا ينشأ السؤال التالي : ما حظُ النّصِ القرآني من إمكانية التعامل معه من خلال هذا التقسيم المقترح ؟ أو بتعبير أدق ، هل يُمكن أن يقسّم النصُ القرآني عامةً وسورة الجنّ خاصةً ، مع ما تشتمل عليه على وجه أخص تبعاً لأسس ومعايير لغوية ، تساعدُ فيما بينها على إظهار جوانب التماسك فيه ؟ وإذا كانَ الشعراءُ المعاصرون أو المحققون للدواوين الشعرية القديمة يُمكن (ولهم الحق) في تقسيمِ القصائد داخل الديوان حسب رؤيةٍ علميةٍ ، بناءً على أساسٍ منهجي، ومن ثم، فإن تقسيم بنية السورة جائزٌ بل راجحٌ ؛ لأنّ نظرتهم جميعاً قائمةٌ على هدى من استظهار جوانب التماسك النصي ، بيدَ أن اللافت للنظر ، أن هذا التقسيم المقترح لسورة الجن ، إنما هو تقسيم يحاول إظهار جوانب التماسك النصي بين العناصر اللغوية وغير اللغوية من ناحيةٍ ، ومن ناحيةٍ أخرى بين البنية الكلية والمواضع الأخرى المفصلة والكاشفة لجوانب أخرى من هذه السورة من ناحية ثالثة .

١/ ٠ : مظاهر السبك ودورها في التماسك النصي :

مما لا ريبَ فيه أن السّبك (Kohäsion) يتعلق بشكل مباشرٍ بالعناصر اللغوية المكونة لمظاهر النص ، ووسائله كثيرة ومتنوعة ، وهي تختلفُ من نص لآخر ، تبعاً لما يشتملُ عليه من عناصر لغوية فاعلة في بنائه، هذه العناصر المكونة لبنيته هي التي تكسبه صفة التمايز عن الأبنية الكبرى

(١) السابق : الموضع ذاته.

المميزة للنصوص الأخرى ، وهنا تؤدي المظاهر اللغوية الممثلة لبنية السطح دوراً أساسياً ، ولا أخال أننا بحاجةٍ ماسةٍ إلى أن نستعرض وسائل السّبك ؛ نظراً لتفاوتها من نص إلى آخر ، لكن ما نجده ماثلاً في سورة الجنّ ، وأدناه إلى الملاحظة المباشرة ، ما سميته بـ (الإعادة) وهو ــ عندي ــ مصطلحٌ عامٌ ، يجمع بين دفتيه عدداً من المصطلحات الأخرى ، كما سيأتي بيانه. وما يمكن قولُه إنه يضم التكرار بأنواعه ، والإحالة بضمير الشأن وضمائر الذات ، والربط باسم الموصول ودور كلٍ منها في تماسك بنية السطح وبنية العمق والربط بالواو الذي يتعدى حدودَ الآية ... الخ ، ونحاول الإبانة عن كل ذلك ، فيما يلي من تحليل .

١/ ١ : الإعادة بوصفها عنصراً من عناصر التماسك النصي :

فضّلت اختيار هذا المصطلح (الإعادة)* على مصطلح التكرار، لـيس لأن فيه ميزاتٍ أكثرَ ، بل لأنه فيما أحسب ، يمكننا أن نجعله جامعاً لمصطلحيّ التكرار والإحالة / الإعادة معاً ، ومن هنا يكون مصطلحاً عاماً، وإحكاماً في التفريق بين المصطلحات وحرصاً على استثمار أمثلَ لمعانيها، فإنَّ تخصيصَ هذا المصطلح العام ، يجعله يُحَمّل بمعانٍ اصطلاحية جديدة ، لا يستطيع أن يقبلها المصطلح الآخر الذي أعرضنا عنه ، وعلى هذا الأساسِ ، أمكننا أن نختاره ، ونبني عليه هذه الجزئية من البحث .

١/ ٢ : الإعادة الصريحة ودورها في تماسك النص :

ارتبطت الإعادة الصريحة في التراث العربي ببيئة البلاغيين والنحاة ، لكن كليهما توجه وجهة مختلفة في المعالجة . فالبلاغيون قالوا إنها جاءت لنكتةٍ بلاغيةٍ ، والنحاة ركزوا اهتمامهم على التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي . وإذا ما حاولنا استغلال ما أورده الإمامُ السكاكي لأنواع التجنيس ، وجدناه قريباً من

قريب، وتدل بشكلٍ أو بآخر على المقارباتِ القائمة في النص من خلال أشكاله المتنوعة ، فمرةً تامة ، وأخرى بحذف جزءٍ من البنية المكونة ، وثالثة العلاقة قائمةً على جمع المتشابهات . . . إلخ .

وَبَيِّنٌ أنَّ هذه الفرضية قائمةٌ على استدعاء الإعادة التامة أو شبه التامة أو المضارعة أو المردودة . . . وربما يظنُ ظانٌّ أن ما أورده الإمامُ السكاكي يُمثل رؤية أخيرة في هذا الشأن ، والأمرُ عندي خلاف ذلك كله ، إذ تأتي رؤيته كاقتراحات لما يمكن أن تؤديه هذه الأنواع من استباك واحتباك بنية النصوص . ونؤكد هذه الرؤية بأن السكاكي حين عرض هذه المقترحات حول التجنيس – لم يذكرْ أن النصوص ينبغي(أو يجب) أن تشتمل على هذه الأنواع كافة ، وإنما اقتراحات يمكن أن توجد في نص دون الآخر ، أو أن بعضها يمكن أن يشتمل عليها نصٌ أو العكس ، ولم يقل صراحةً أو ضمناً أن هذه الأنواع ينبغي ، بل يجب توافرها في كل النصوص .

وتتبئ هذه الرؤية ، إذا كانت صحيحةً – وهي عندي صحيحةٌ لا أشكَ فيها – أن الإمام السكاكي لم يكن يقعد لعلوم البلاغة ، وأن الخالفين من الباحثين وسموه بأنه جمَّد علوم البلاغة وجعلها قواعد جافة [1]. وهي رؤيةٌ تحتاج إلى إعادة نظر على ضوء ما أنتجته وتطرحه اللسانيات النصية ، وعلى ضوء قراءةٍ متأنيةٍ لنص السكاكي في " المفتاح " ، ولهذا وقفةٌ متأنيةُ معه في بحث آخر ، إنْ شاءَ الله .

١/١ : الإعادة التامة :

أنّ عناصر الإعادة الصريحة ، كما اقترحت تسميتها ، لما ذكرته أعلاه – نقصد بها إعادة اللفظة بتمامها ، كما هي – أكثر من مرةٍ ، وهي رؤيةٌ

(١) ينظر : عبد العزيز عتيق : تاريخ البلاغة العربية ، ص ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٢ على سبيل المثال لا الحصر.

تتفق في مجملها مع العنوان المقترح ، كما يمكنُ أنْ ننظر إليها نظرة تظهر دورها في استباك واحتباك بنية النص القرآني عامة ، وسورة الجنّ خاصة ، مما يشير إلى ترابط الأقسام ؛ مما يؤدي إلى تماسك البنية الكلية للسورة ، ولنتأمل الآيات التاليات من السورة :

١) مع اللفظ (أحدا) :

٢ـ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا .

٧ـ . . . أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا .

١٨ـ . . . فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا .

٢٠ـ . . . وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا .

٢٦ـ . . . فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا .

٢) مع اللفظ (رشداً) :

١٠ـ . . . أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا .

١٤ـ . . . فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا .

٢١ـ . . . لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا .

٣) مع اللفظة (رصداً) .

٩ـ . . . يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا .

٢٧ـ . . . مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا .

٤) مع اللفظة (عدداً) :

٢٤ـ . . . أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا .

٢٨ـ . . . وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا .

٥) مع الفعل (قل) :

١- قُلْ أُوحيَ إلَيَّ .

٢٠ـ قُلْ إنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا .

٢٢ـ قُلْ إنِّي لَنْ يُجِيرَنِي . . .

٦) مع اللفظة (القاسطون) :

١٤ـ . . . وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ . . .

١٥ـ . . . وأما الْقَاسِطُونَ .

٧) مع اللفظة (رهقاً) :

٦ـ . . . فَزَادُوهُمْ رَهَقًا .

١٣ـ . . . فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا .

٨) مع اللفظة (شهاباً) :

٨ـ . . . مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا .

٩ـ . . . يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا .

٩) مع اللفظة (الجنّ) :

١ـ . . . أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ . . .

٥ـ . . . أَنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .

٦ـ . . . رِجَالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ . .

١٠) مع اللفظة (رجال) :

٦ـ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ . .

١١) مع اللفظة (الإنس) :

٥ــ . . . أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ . . .

٦ــ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ . . .

ولعلنا نلحظُ أنَّ (الإعادة التامة) تحدثُ انسباكاً وانحباكاً على مستوى بنية ظاهر النص وفي عالمه في آيةٍ واحدةٍ ، هذا من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى ، فإن ورود اللفظة (أحداً) في الآية/ ٧ من القسم الثاني ، وإعادتها تارةً أخرى في الآية / ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ من القسم الثالث محدثةً انسباكاً وانحباكاً بين القسمين ، فالمرة الأولى خاصة بالجن (٧) ، والمواضع الأخرى خاصة بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أوهي على لسانه ، ومن ثَمَّ ، فإن قضية الإيمان ، كما هي خاصة بالجن – خاصةٌ بالإنس كذلك ، ومن هنا فإنّ قضية التوحيد (أحد) تمثل عنصراً جوهرياً في الدعوة إلى الثقلين ، أو هي القضيةُ الأساسية التي ينبغي أن تكونَ حتى يكونَ الناس أمةً واحدةً (على الإيمان) ، كما نلاحظ أن لفظ (أحداً) لم يقعْ إلا في القسمين الثاني والثالث ، والثاني لم يردْ إلا مع الجن في حديثهم عن إيمانهم حين سمعوا القرآن . أما القسمُ الثالثُ ، فقد ورد في مواضع ثلاثة ، وهو الحديثُ على لسان النبي كما ذكرنا ، وهنا نستنتجُ أن هذه القضية تمثل الركيزة الجوهرية التي تدور حولها دعوةُ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن هنا ، خلا القسم الثاني ، وهكذا تنسبك وتنحبك البنية اللغوية الظاهرةَ على سطح القرطاس مع البنية المفهومية المكونة لعالم النص من خلال إعادة اللفظ (أحداً) من خلال القسمين الأول والثالث .

وإذا نظرنا إلى لفظة (رشداً) الواردة في المواضع السابقة ، وجدناها تقع موقعين ، في القسمين الثاني والثالث ، بما يعكس البنية اللغوية التي تدور حولها أحداثُ هذين القسمين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن هذا يعكس تماسكاً على مستوى بنية السطح وبنية العمق .

أما اللفظة (رصداً) فقد وردتْ في القسم الثاني والثالث ، بما يشكلُ انعكاساً للأحداث المتعلقة بالجن (٩) من جهةٍ ، وبما ارتضى من رسول الله (٢٧) من جهةٍ أخرى . وعلى الرغم من المقاربة اللفظية ، نجد أنَّ بنية السياق اللغوي تعكسُ تقارباً لفظياً فقط ، وتبقى الموائزُ قائمةً في السياقات غير اللغوية، وهكذا فالإعادةُ التامةُ في هذه السورة تعكسُ تماسكاً بين :

١- مواضع الآيات المتقاربة أو المتباعدة .

٢- أحداث الأقسام المختلفة المقترحة .

٣- أحداث القسم الواحد .

وبالتالي نستطيع أن نستخلص ــ مما سقناه أعلاه من تحليل ــ ما يلي :

فترة الإيمان الأولى :

١ــ أحداً .

فترة الإيمان الثانية (فترة التذكر الأولى) ، تضم الألفاظ التالية :

٢ ، ٧ ــ أحداً .

١٠ ، ١٤ــ رشداً .

٩ــ رصداً

فترة الإيمان الثانية (فترة التذكر الثانية) ، تضم :

١٨ ، ٢٠ ، ٢٦ : أحداً .

٢١ــ رشداً .

٢٧ــ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا .

فترة الدعوة الثانية :

٢٤، ٢٨ : عدداً .

ونخلص من هذا التصور بما يلي :

١-أن القسم الأول من السورة ، يرتبط بالقسم الثاني والثالث عن طريق الإعادة التامة (أحدا) .

٢-أن القسم الثاني يرتبط بالقسم الثالث عن طريق لفظة (رشداً) .

٣-أن القسم الثاني يرتبط بالقسم الثالث من السورة عن طريق (رصدًا) .

ومن ثم ، فإنَّ أقوى الروابط وأوثقها هي بين أجزاء القسم الثالث من السورة ، الذي يمثل عنصراً محورياً في إمداد الأقسام السابقة والأقسام اللاحقة بالروابط اللفظية التي تركز في أساسها على اللفظة الأولى من سورة الجن ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن ثمة ملاحظ أخرى أساسية ، تعكس التصور المطروح أعلاه . ومما لا ريبَ فيه أن هذا يعكسُ التماسك الماثل على سطح القرطاس من جهة ، وفي عالم النص من جهة أخرى .

١/ ٢ : الإعادة شبه التامة :

هنالكَ نوعٌ آخرَ من الإعادة الصريحة ، وهي شبه التامة ، وهي تقومُ على افتراضِ علاقةٍ غير حقيقيةٍ بين اللفظين ، كأنْ تكون ثمة مقاطع صوتية متقاربة فقط ، وليس ثمة علاقةٌ ، كأن يرجع أصلها إلى جذرٍ لغوي واحدٍ ، وحسبي أن أمثّل لذلك من سورة الجنِّ بما يلي :

٢ ، الرشد ، نشرك .

٤ ، يعوذون ، فزادوهم .

٨ ــ شديداً ، شهباً .

١٠ ، ١٤ــ أشر ، رشداً .

١٢ ، ١٣ــ هرباً ، رهقاً .

١٨، أحاط ، أحصى .

٢٠ ، ٢١ــ أشرك ، رشداً .

٨ ، ١٠ــ شهبا ، رشداً .

وَظَاهرٌ أن هذا النوعَ من الإعادة ، يعمل من خلال مستويين ، الأول : داخلُ حدود الآية ، وعمله في ظاهر النص أصالة . الثاني : يتعدى حدودَ الآية الواحدة ، إمّا إلى الآية التالية ، كما يظهر مع الآية : ١، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠، ٢١ ، وإمّا إلى آيات متباعدة الموضع ، كما يتبدى ذلك بوضوح مع الآية ١٠ ، ١٤ ، ١١ ، ١٦ . . . إلخ ، ومن ثمَّ تمثلُ ارتباطا داخل الآية أو خارجها في آيات تاليات ، أو على مواضع متباعدة على سطح الورق ، كلُ هذا يعمل في ظاهر النص ، وفي باطنه على نحو من الاتساق والانتظام .

٣/١ : الإعادة الجزئية :

نقصد بها تكرارَ عنصرٍ لغوي سبقَ استخدامه في أشكالٍ وفئاتٍ مختلفة، والمفارقة بين هذا النوع والأنواع الأخرى السابقة ، تكون بزيادة حرفٍ أو أكثرَ مع الإعادة الجزئية ، مع الأخذ في الاعتبار ، أنها ترجع إلى أصلٍ لغوي واحدٍ، ولنأتِ على الأمثلة التالية من السورة :

١ــ . . . أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا .

٢ ،١٠ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٨ : ربنا ، ربهم ، بربه ، ربه ، ربّي .

٥ ، ٧ــ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ ، ظننا ، ظنوا

٨ ، ٩ــ . . . مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . . . يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا .

٩ــ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ . . . .

١٠ــ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا .

١٢ــ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا .

١٣ــ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آَمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا .

١٤ــ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ . . . .

١٧ ، ٢٧ــ . . . . رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ، فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ . .

٢٢ــ . . . . مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا .

٢٣ــ . . . إِلاَّ بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

١٨ ، ١٩ ، ٢٠ــ تَدْعُوه ، يَدْعُوه ، أَدْعُو .

٢٤ ، ٢٦ــ فَسَيَعْلَمُونَ ،عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا .

على أنَّ التكرارَ الجزئي ، ليس وارداً في قسم دون الآخر ، بما يشكّل منه تفاعلاً في البنية ، حيثُ تنتشرُ أنماطه في السورة على مساحاتٍ تكاد تكونُ متسقةَ التوزيع على سطح الورق ، كما نلاحظ في (٧ ، ٩ ، ١٠ ، و ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) وتشيرُ أرقامُ الآيات إلى أن هناك تقارباً ظاهراً بين مواضعها في الآيات وهذا يشكّل تماسكاً بين بنية ظاهر النص أصالةً ، كما ذكر د . مصلوح ، وفي عالمه بالتبعية ، كما أن فعله في النص أقرب إلى التجميع منه إلى الانتشار[1]. وبالتالي فإنّ التجميعَ قائمٌ على ضمِ العناصرِ المتقاربة مكاناً والمتسقة موضعاً ، وهكذا يُشكل هذا الملمح تصوراً معقولاً ومقبولاً في آن واحد .

كما أننا إذا كنا ذكرنا أن لفظة (الجن) الواردة تدخلُ ضمنِ الإعادة التامة ، ولم تردْ إلا في القسم الأول ، وهو يُشكلُ منها محوراً ليس أساسياً فحسب، وإنما كلياً تعتمد عليه السورة ، وتدور في فلكه ، وعليه تتبني الأحداث المذكورة في هذه السورة ، وفي غيرها من السياقات المختلفة بالجن ، وإنْ ورد

(١) د . سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري ص ١٥٨.

في القسم الثاني ، إلا أنه ينماز في أن الإعادة ضمنية . وعلى هذا نبقي عليها لمناقشتها في قابل البحث ، إن شاء الله ، وبالتالي فالضمائر تعود بعد الآية ٤ ، ٥ مرة أخرى ، دلالةَ على المفارقة مع الآيتين ٤ ، ٥ من ناحيةٍ ، وأنَّ الحديثَ لا يزال موصولاً مع القسم الأول الذي اقترحناه حول تقسيم السورة ، وعليه ، خلت الأقسامُ الأخرى من إعادة لفظة الجن ، غير أن الضمائر هى التي تحيل إلى الآية ٢١ ، إلا أن عدم ذكر (الجن) - إلا في القسم الأول فقط - وعدم ذكره مرة أخرى إلا في القسم الثاني ، يحمل فى ظاهره دلالةً مفارِقةً ، بيد أن الذي لا بدَ من الإشارة إليه ، أنّ في هذا إشارة إلى أن حديثهم (المؤمنون من الجن) لا يزال موصولاً على ما هو واردٌ في القسم الأول ، بما يُشَكِّلُ منه قسماً رئيساً من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى يتصلُ الحديثُ على لسانهم ، وبكون مرتبطاً بالأقسام الأخرى من السورة بالقسم الأول الرئيس الذي تبنى عليه أحداث السورة ، ومواضع أخرى ، بما يُكمِّلُ كل منها الآخر ، أو ما يُطلق عليه بـ (التناص)، وهو عنصر مُفصّلٌ ، وسنأتي عليه بشيءٍ من الإبانةِ في قابلِ من البحث (ينظر : ٤ / . من البحث) .

ويمكننا القول بأن لفظة (الجن) لم ترد إلا في القسم الأول والثاني والثالث ، وقد اقترحنا له عنواناً فرعياً (فترة الإيمان الأولى) ، ولما كانتْ أحداثُ السورة تقع حول هذا المحور ، فإنه يمثل المحور الرئيس؛ ليس لأنه تصدر به السورة ، بل لأنّ فيه مفاتيح الضمائر الخافية في القسم الثاني (فترة الإيمان الثانية) الذي تستند إليه وتحيل عليه ، وأن قضية الإيمان هي المحور الفعلي لأحداث السورة ، مما يجعل القسم الأول أساساً ، ومن هنا يتفقُ هذا الاستخلاص مع ما أوردناه أعلاه ، أن القسم الأول ، هو الأساس ضمن الأقسام المقترحة لهذه السورة . كما نضيف شيئاً آخر وهو أن قضية الإيمان في كل

المواضع المتعلقة بالجن في النص القرآني تدور حوله ، ولنتأمل الآيات التاليات في النص القرآني :

الأنعام / ١٠٠ ﴿وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾

الأنعام /١١٢ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ . . .﴾ .

الأنعام /١٣٠ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا . .﴾ .

الإسراء /٨٨ ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ .

الأعراف /١٧٩﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

السجدة / ١٣ : (وَلَو شئنا....)

الجن/١ ، ٥ ، ٦ : (لم ندرج نص الآيات ؛ نظراً لأننا أوردناها في نص السورة وفي مواضع أخرى من التحليل) .

١/ ٤ : الإعادة المطرفة :

نقصدُ بهذا النوعِ من الإعادةِ ، أنَّ ثمة إمكانيةً للمقاربة بين هذه الألفاظ، وإنْ كانت لا تنتمي إلى جذرٍ لغويٍ واحدٍ مثل النوع السابق ، لكن الاختلاف يقع في هذا النوع في حرفٍ أو حرفين مع تقاربٍ في المخرج ، كما تمثله الأنماط الواردة أدناه ، فيما يلي :

٩ ، ١٠ ، ١٤ : رصداً ، رشداً .

١٠ : بهم ، ربهم .

المواضع المتعلقة بالجن في النص القرآني تدور حوله ، ولنتأمل الآيات التاليات في النص القرآني :

الأنعام / ١٠٠ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾

الأنعام / ١١٢ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ . . .﴾ .

الأنعام / ١٣٠ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا . .﴾ .

الإسراء / ٨٨ ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ .

الأعراف / ١٧٩ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

السجدة / ١٣ : (وَلَو شئنا....)

الجن/ ١ ، ٥ ، ٦ : (لم ندرج نص الآيات ؛ نظراً لأننا أوردناها في نص السورة وفي مواضع أخرى من التحليل) .

١/ ٤ : الإعادة المطرفة :

نقصدُ بهذا النوعِ من الإعادةِ ، أنَّ ثمة إمكانيةً للمقاربة بين هذه الألفاظ، وإنْ كانت لا تنتمي إلى جذرٍ لغويٍ واحدٍ مثل النوع السابق ، لكن الاختلاف يقع في هذا النوع في حرفٍ أو حرفين مع تقاربٍ في المخرج ، كما تمثله الأنماط الواردة أدناه ، فيما يلي :

٩ ، ١٠ ، ١٤ : رصداً ، رشداً .

١٠ : بهم ، ربهم .

٢٢ : أحد ، أجد .

١٩ ، ٢٣ ، ٢٥ : لبداً ، أبداً ، أمدا .

١ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ : قل ، أقل .

١ ، ١٥ : عجباً ، حطباً .

١ ، ٢٢ : أحداً ، ملتحداً .

١/ ٥ : الإعادة المشوشة :

يختلفُ هذا النوعُ من الإعادةِ عن الأنواع السابقة ، في أنَّ العنصرَ الجامع لهذه الأنماط ، يتمثل في الوزن فقط ، وتمثلُ الفواصلُ القرآنية في السورة ذلك خيرَ تمثيل ، ونستشهد لذلك بالأنماط التالية بوصفها بيانا كافيًا :

٤ ، ٨ : شططا ، شهبا .

١٢ ، ١٣ : هربا ، رهقا .

١ ، ١٥ ، ١٦ : عجباً ، حطباً ، غدقاً .

١٨ ، ٢٢ : أحداً ، ملتحداً .

ونأخذ الآن في القول على كيفية الإفادة من هذه التصورات المطروحة في استباك واحتباك بنية السورة ، فإذا كنا قد أشرنا إلى دور هذا التكرار في اعتضاد الأبنية الكلية الواقعة في الأقسام المختلفة والمقترحة في صدر البحث ، فإن النص القرآني له موائزُ عديدة تميزه عن النص الأدبي عموماً والشعري على وجهٍ أخص .

ومن هنا ، فإننا ننظر لما أوردناه حول الأشكال التي عليها داخل السورة ، لما سميته الإعادة الصريحة ، وما أوردته يمثل قدراً مختصراً جداً ، لا يفي بكلِ ما ينبغي أن يقال في هذا الشأن ، وننظر إليه من جهةٍ أخرى . ولعلي أستطيع أن أوضح بما أكتب ، كيف تكون الإفادة من

اعتبار الإعادة التامة التي تقع على مساحات متباعدة على سطح الورق ، ومن ثم فإننا يمكننا اعتبارها تقع خارج حدود الآية ، أو نطلق عليه ردَ العجز على الصدر، إنْ جاز لنا أن نستعمله مع النص القرآني ، فلفظ (أحداً) يقع في عدد من الآيات ، أشرنا إليها ، وبناء على ذلك فإن (أحداً) في الآية /٢ ، وما يقع في الآية ٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، إنما هو نوعٌ من رد العجز على الصدر ، وتنسحب هذه الملاحظة على الألفاظ المختلفة التي تقع ضمن الإعادة التامة .

وإذا كانت هذه مظاهر الإعادة الصريحة بأشكالها المتنوعة داخل السورة، فقد بقي فضلُ بيانٍ فيما يتعلق بتوسيع الحديث عن الإعادة الصريحة من خلال ما يمكن أن نجده فيما يتعلق بالجنّ في النص القرآني . وهذه المظاهرُ معنيةٌ على ظاهر النص وعالمه ، وحسبي إبرازُ هذه المواضع : الفعل (سمع) مع أشكاله المختلفة والواردة أعلاه فيها إعادة تامة وجزئية مع المواضع الآتية :

فصلت /٢٥ : تَسمَعُوا .

الأحقاف /٢٩ : يَستَمعون .

الجن /١ : استمع .

الأحقاف /٣٠ : سَمِعنا .

الجنّ / ١ : سَمِعنا .

ولا ريبَ أن هذه الإعادة بما تشتملُ عليه – لها نظائرُ في مواضع متفرقة من النص القرآني ، وهذه الإعادةُ بأنواعها المذكورة ذات خصلتين ، إعادة مباشرة ، وإعادة ضمنية ، ولها جوانبُ أخرى كثيرةٌ تحتاج إلى فضل بيانٍ ، ولا يتسع المقام هنا لذكرها ، وما أردت أن أنجزه أن لهذه الإعادة علاقةً بمواضع أخرى من النص القرآني ، وبالتالي تتعدى الإعادة الصريحة حدودَ الآية ، بل حدود السورة إلى مواضع أخرى .

اعتبار الإعادة التامة التي تقع على مساحاتٍ متباعدةٍ على سطح الورق ، ومن ثم فإننا يمكننا اعتبارها تقع خارج حدود الآية ، أو نطلق عليه ردَ العجز على الصدر، إنْ جاز لنا أن نستعمله مع النص القرآني ، فلفظ (أحداً) يقع في عدد من الآيات ، أشرنا إليها ، وبناء على ذلك فإن (أحداً) في الآية /٢ ، وما يقع في الآية ٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، إنما هو نوعٌ من رد العجز على الصدر ، وتنسحب هذه الملاحظة على الألفاظ المختلفةِ التي تقع ضمن الإعادة التامة .

وإذا كانت هذه مظاهر الإعادة الصريحة بأشكالها المتنوعة داخل السورة، فقد بقي فضلُ بيانٍ فيما يتعلق بتوسيع الحديث عن الإعادة الصريحة من خلال ما يمكن أن نجده فيما يتعلق بالجنِّ في النص القرآني . وهذه المظاهرُ معنيةٌ على ظاهر النص وعالمه ، وحسبي إبرازُ هذه المواضع : الفعل (سمع) مع أشكاله المختلفة والواردة أعلاه فيها إعادة تامة وجزئية مع المواضع الآتية :

فصلت /٢٥ : تَسمَعُوا .

الأحقاف /٢٩ : يَستَمعون .

الجن /١ : استمع .

الأحقاف /٣٠ : سَمِعنا .

الجنّ / ١ : سَمِعنا .

ولا ريبَ أن هذه الإعادة بما تشتملُ عليه – لها نظائرُ في مواضع متفرقة من النص القرآني ، وهذه الإعادةُ بأنواعها المذكورة ذات خصلتين ، إعادة مباشرة ، وإعادة ضمنية ، ولها جوانبُ أخرى كثيرةٌ تحتاج إلى فضل بيانٍ ، ولا يتسع المقام هنا لذكرها ، وما أردت أن أنجزه أن لهذه الإعادة علاقةً بمواضع أخرى من النص القرآني ، وبالتالي تتعدى الإعادة الصريحة حدودَ الآية ، بل حدود السورة إلى مواضع أخرى .

٢/٠ : الإعادة الضمنية بوصفها عنصراً من عناصر التماسك النصي :

٢/١ : الإعادة بالضمائر وأدوات العطف ودورها في استباك واحتباك النص :

١/١ : الإعادة بضمائر الشأن .

١/ ٢ : الإعادة بضمائر الذات .

١/٣ : الإعادة بأدوات العطف .

وأبدأ بمعالجة هذه القضايا على نحو من الانتظام والاتساق المذكور أعلاه .

١/١ : الإعادة بضمير الشأن :

نستظهرُ من خلال قراءة السورة أنّ ضمير الشأن يتصدر الآيات الأربع الأولى ، ما عدا الآية الثانية ، وفي الآية ٥ والآية ١٩ ومن ثم يمثل مَعْلماً أساسياً تتصدرُ به السورة ، وقد ذكرتُ ثمة أنَّ ضميرَ الشأن هو الذي لفت الانتباه في تكراره ، وأخذتُ أرجعُ البصرَ وأقلِّبُ الوجوه ، عسى أن أجدْ لذلك وجهاً ، فكان اللافت للنظر أن الانتظام والاتساق في استعمال هذه الضمائر على سطح القرطاس ، لم يأتِ عشوائياً ، ولن يُذْهَبَ بتحليله سُدى .

فقد ورد في الآية الأولى ، ولم يأتِ في الآية الثانية ، وورد في الآية الثالثة ، وبالتالي ورد مرتين في الفترة الأولى (مرحلة الإيمان الأولى) ترك آيةً وسطى ، وكأنه يعمل على تماسكٍ ، ليس ما بينه وبين ما يليه ، وإنما بين الآية الأولى والثالثة ، وهكذا يتعدى حدودَ الآية أو الآيتين ، لكن المُلاحَظَ أنَّ ضميرَ الشأن تكرر بين الآية الثالثة والرابعة ، خلافاً لما هو ظاهرٌ بين الآية الأولى والثالثة ، وكَأنَّ الحقَ يشير إلى أنه يربط الآيات المتباعدة التي تقع داخلَ حدود القسم الأول المقترح ، بينما حين وقع على حدود القسمين الأولين المقترحين في صدر البحث ، اكتسبت معنى آخر ، الربط بين القسمين ، وهكذا فإن وجوده

اقترحناه حوله في القسم الأول والثاني – يدل دلالةً أخرى ، ليس الربط بين أحداث القسم أو القسمين فقط، وإنما يتعدى دوره حدود الآيات والأقسام ، بالإضافة إلى وظائف أخرى ، نُشير إليها في قابلٍ من البحث (ينظر : ٢ / ١ /١ من البحث) .

وإذا كان ضميرُ الشأن في مثل هذه المواضع ، يعمل على اعتضاد أبنية السبك وأبنية الحبك ، وهو تضافرٌ أوسع مما هو عليه في مواضع الجن ، فنموذج الجن يمثل تضافراً أضيق ، أعني ربطاً يُستَظهرُ من خلال السياقات ، وإنْ كان يمكن أن لا يتعدى أسوارَ الآية الواحدة ، كما يأتي في قابلٍ من البحث (ينظر : ٢ / ١ /١ من البحث) ، وهي سمةٌ حقيقيةٌ في سورة الجنّ ، إذْ الآيات كلُها تحيل إلى لاحقٍ/ متأخرٍ داخل حدود الآية ، ولم أعثر على رؤية لأحد من المفسرين يقول إن ضمير الشأن في سورة الجن يحيل إلى سابق .

غير أنه إذا كان ضميرُ الشأن ورد في سورة الجن في مواضع خمسة (١ ، ٣، ٤ ، ٦ ، ١٩) ، ومن ثم ، فإن هذه الإعادة الضمنية على مستوى ظاهر النص تحدث احتباكاً في عالمه ، كما أشرنا في موضع آخر ، فالانسباك من خلال إعادة (أنه) في مواضع متباعدة ، وأخرى متقاربةٍ ، وقد أدلينا بدلونا ثمة فيما يتعلق بهذه الرؤية ، ويترتب عليها انسباك ظاهر النص أصالة وانحباك عالمه بالتبعية ، ابتداءً من الآية (١ـ ١٧) ، والمفهومان يعملان بنوعٍ من الاتساق ، لكن ظاهرَ النص يعمل على انسباك النص أصالة ، ويترتبُ عليه عمله في باطنه بالتبعية ، وهذه الرؤية تؤكد ما خلصنا إليه في موضعٍ آخرَ ، أنَّ قضايا الإعادة تعمل في ظاهر النص وفي عالمه ، وأدلينا بدلونا ثمة، والذي دعانا إلى ذلك أنّ أولي العلم في هذا الباب اختلفوا حول موقع (التكرار) هل يتعلق بظاهر النص (بنية السطح) أم بعالم النص (بنية العمق) ؟ وقد اعترض فاتر على رؤية بوجراند / درسلر حول وضعه ضمن المعيار الأول ،

وأن كل صوره تقع ضمن المعيار الثاني ، بيد أن د . بحيري يرد رؤية فاتر بقوله : وهو في ذلك لم يدرك أن الصور التي تناولها بوجراند/ درسلر للإحالة في المعيار الأول أعاد معالجة ما يتصل منها بالجوانب الدلالية في المعيار الثاني ، ومن ثم أرى أنها وسيلة تقع بين المعيارين ، فلا يجوز الفصل بين ظواهرها ؛ لأن الدلالات التي تشكلها تنشأ عن تضام العلاقات النحوية المعنوية داخل النص وخارجه [1]. وسنرى صدق هذه الرؤية أن عناصر الإحالة تقع ضمن المعيارين، وليس ضمن المعيار الثاني كما ذكره فاتر[2]، وتعتضد من الرؤية بما أوردنا فيما يتعلق بضمير الشأن ، أنه يقع الموقعين ، لكن تمايزاً قائماً بين الحالتين ، ففي ظاهر النص ، يكون عمله أوسع ، وربطه بين الجوانب اللغوية أوثق ، أمّا في عالم النص ، فيكون عمله أضيق على مستوى بنية الآية الواحدة ، وهو ما ترد معالجته في جوانب تتعلق بحبك النص / مفهومه ، ومن ثم تأتي معالجة هذا الضمير في جانبين ، كل منهما يكمل الآخر، وهذه هي المفارقة بين عمله في ظاهر النص وفي عالمه . وقد بقي حول الرؤية الأخيرة فضلُ بيانٍ نستقبله فيما يلي من تحليل هنا ، ونكمل الآخر في موضعه من البحث .

تجدر الإشارةُ إلى أن إعادة ضمير الشأن (إنّ + الهاء) له فائدةً أخرى ، مبنيةٌ على رؤية الزمخشري حول هذا الضمير بأنه : ضمير غائب ، مبهم ، مفرد ، يُصدّر الجملة ، يُفَسَّرُ بما يليه[3]. وعلى هذا فارتباط ضمير الشأن أساساً بما يليه من جملة ، ومن هنا حين تنتهي الجملة التي تليه ينتهي تفسيره ، وتنطبقُ هذه الرؤية على ما يقع داخل حدود الآيات الوارد فيها ضمير

---

(١) د. سعيد بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٧٢.

(2) Sehe Vater, H. : Einführung in die Textlinguistik, S. 132.

(٣) الزمخشري : المفصل ص ٥٤.

الشأن داخل سورة الجنِّ ، ومن ثم فإن إعادة ضمير الشأن أكثر من مرة ذات فعاليةٍ كبيرةٍ في هذا الشأن . وعلى هذا ، فإن إعادته تعكس تماسكاً للقضايا الداخلية ، تبعاً لاختلاف الآيات ، فإذا كان ضمير الشأن في الآية/ ١ يفسره ما يليه ، بناءً على رؤية الزمخشري السالفة الذكر ، ففي كل مرةٍ ، يشير إلى جزئيةٍ تقع داخل حدود الآية الواحدة ، ويؤكد ذلك ما ورد في سورة الجنِّ في الآية/١ ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ فما يقع فوقَ الخط يمثل تفصيلاً / تفسيراً للضمير المبهم/ المجمل ، وهي قضية استماع الجن القرآن . وحين ورد في الآية/٣ ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴾ والقضية هنا قضيةُ عدم الشرك بالله ، وهو ما ترتب عليه تخصيصٌ أكثر فيما يتلوه من الآيات / ٣ ، وهو تنزيه الحق أن تكون له صاحبة ولا ولد ، ومن ثم فالآية/٣ ، إنما هي تفصيل أكثر دقةً ، لما هو في الآية/٢ ﴿ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ .

وابتداءً من الآية / ٤ تأخذ الآيات نسقاً جديداً في التعامل مع ضمائر الذات ، على الرغم من التشارك في البنية اللغوية ، لكن من يرجع البصر في الآيات من ١ ــ ٣ ، ومن ينظر في الآيات ابتداء من (٤ ــ ١٧) ، يجد فترة الإيمان الثانية (مرحلة التذكر الأولى) قد استقرت لدى النفر من الجن ، حسب التعبير القرآني ، حيث تبدأ الذاكرةُ في استعادة الزمن الموضوعي ، باسترجاعه في الماضي ، وتبدأ فترةُ التذكر ، وتمثلها الآيات من (٤ ــ ١٧) وهي ذاتُ شقين داخليين . وإذا كان ضمير الشأن قد ورد في (٦) مواضع، في القسم الأول مرتان ، وفى الثاني مرتان ، وفى الثالث مرتان ، ومن ثم يبدو التكثيفُ الدلالي لتجميع هذا الضمير في الفترة الأولى والثانية ، فيما يتعلق بالأحداث المفصلة لضمير الشأن ، أنها تقعُ بشكل مركز في القسم الأول، وأن القسم الأول المختص بفترة الإيمان الأولى فيه تفصيل أكثر ؛ لأن الأحداث الواردة في

(٢ ، ٣) هي في الواقع مترتبة على ما هو في الآية / ١ ، ومن ثم فإن التكثيف الذي يعكسه الضمير في المجموعة الأولى ، يتسق مع ما هو وارد في هذا القسم الأول ، وما اقترحناه في موضعٍ سابقٍ ، أن بيانَ ذلك في القسم الثاني (٤ ــ ١٧) فالمساحةُ المكانيةُ واسعةٌ ، والأحداثُ أحداثُ وصفٍ ، وبالتالي ليس فيها ما في القسم الأول من تكثيفٍ للأحداث ، وما يترتبُ على إيمانهم لما سمعوا الذكر ، ولاختلاف دلالة وأحداث المجموعتين بهدف المفارقة الواضحة على مستوى بنية العمق (عالم النص) . وعلى الرغم من ذلك ، فإننا نرى أن وقوعَ نصفِ ضمائر الشأن الواردة في السورة في المجموعة الأولى ، والنصف الآخر في المجموعة الثانيةَ ، يعمل توازناً من نوعٍ ما ، وإنْ كان هذا التوازنُ لا يتعدى التفصيلَ للأحداث الضيقة ، التي تقع داخل حدود السورة ، ومن هنا فإنّ ضمير الشأن في سورة الجنِّ يكشف عن أمورٍ لا غنى لدارسٍ عن معرفتها :

١-التفصيلُ على مستوى البنية الداخلية للآية الواحدة .

٢-التنوعُ في القضايا الداخلية التي تُكوّنُ فيما بينها القضايا الرئيسة لكلِ مجموعةٍ على حدةٍ ، والتي تتكون منها بنية السطح والعمق لسورة الجنِّ .

٣-أن وجوده في سورة الجنِّ ووقوعه ضمن الفترتين الأولى والثانية ، يعكس التوازنَ الذي يمكن أن يحدثه ، وأن وروده في الفترة الأولى بشكلٍ مكثفٍ كان نتيجةَ لما أوردناه أعلاه من تحليل .

٤-أنه يعكس داخل سورة الجنِّ ربطاً ضيقاً داخل حدود الآية ، هذا من جهةٍ، وهذا الربط من جهةٍ أخرى ، يعكس التفصيل الذي يؤديه ما يليه ، وعلى هذا الأساس ، يبدو اتساقُ البنية الكبرى لسورة الجنِّ ، أو ما أطلقنا عليه أن ضميرَ الشأن جاءَ إجمالاً ، وما يليه على وجه التفصيل /

(٢ ، ٣) هي في الواقع مترتبة على ما هو في الآية / ١ ، ومن ثم فإن التكثيف الذي يعكسه الضمير في المجموعة الأولى ، يتسق مع ما هو وارد في هذا القسم الأول ، وما اقترحناه في موضعٍ سابقٍ ، أن بيانَ ذلك في القسم الثاني (٤ ـــ ١٧) فالمساحةُ المكانيةُ واسعةٌ ، والأحداث أحداثُ وصفٍ ، وبالتالي ليس فيها ما في القسم الأول من تكثيفٍ للأحداث ، وما يترتبُ على إيمانهم لما سمعوا الذكر ، ولاختلاف دلالة وأحداث المجموعتين بهدف المفارقة الواضحة على مستوى بنية العمق (عالم النص) . وعلى الرغمِ من ذلك ، فإننا نرى أن وقوعَ نصفِ ضمائر الشأن الواردة في السورة في المجموعة الأولى ، والنصف الآخر في المجموعة الثانية ، يعمل توازناً من نوعٍ ما ، وإنْ كان هذا التوازنُ لا يتعدى التفصيلَ للأحداث الضيقة ، التي تقع داخل حدود السورة ، ومن هنا فإنّ ضمير الشأن في سورة الجنّ يكشف عن أمورٍ لا غنى لدارسٍ عن معرفتها :

١-التفصيلُ على مستوى البنية الداخلية للآية الواحدة .

٢-التنوعُ في القضايا الداخلية التي تُكوّنُ فيما بينها القضايا الرئيسة لكلِ مجموعةٍ على حدةٍ ، والتي تتكون منها بنية السطح والعمق لسورة الجنّ .

٣-أن وجوده في سورة الجنّ ووقوعه ضمن الفترتين الأولى والثانية ، يعكس التوازنَ الذي يمكن أن يحدثه ، وأن وروده في الفترة الأولى بشكلٍ مكثفٍ كان نتيجةَ لما أوردناه أعلاه من تحليل .

٤-أنه يعكس داخل سورة الجنّ ربطاً ضيقاً داخل حدود الآية ، هذا من جهةٍ، وهذا الربط من جهةٍ أخرى ، يعكس التفصيل الذي يؤديه ما يليه ، وعلى هذا الأساس ، يبدو اتساقُ البنية الكبرى لسورة الجنّ ، أو ما أطلقنا عليه أن ضميرَ الشأن جاءَ إجمالاً ، وما يليه على وجه التفصيل /

التفسير ، فالضمير يعمل في الاتجاهين أصالةً ، وأن السَّبك والحبك ، فيما يتعلق بضمير الشأن تحديداً - وجهان لعملةٍ واحدةٍ ، لا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر.

٥-أنه في سورة الجنِّ ، يمثل رؤية عامة ، أجمع عليها النحاة والمفسرون، وبالتالي فإن رؤيتهما واحدةٌ حول إحالة ضمير الشأن ، بيد أن هذا ليس على إطلاقه ، إذا وجدنا تصوراتٍ لما أوردناه من نتفٍ حول تصورات الزمخشري وتسويره وتصويره لهذا الضمير ، ولم يستطع أن يقيد نفسه في حدود رؤية النحاة الضيقة ، على الرغم من علمه وذكره لرؤيتهم في صدر كلامه ، وهي رؤيةٌ يتفق فيها مع النحاة من ناحيةٍ ، ومن ناحيةٍ أخرى تتفق مع ما أورده هو ذاته في صدر تحليله للآيات التي تشتملُ على ضمير الشأن ، لكنه لم يستطع ــ بناءً على مادة البحث ــ أن يأخذ بتلك الرؤية التي تبناها في صدر كلامه المتفقة مع ما ذكره هو في المفصل والنحاة بشكلٍ عام ، وبالتالي فإنّ رؤيةَ النحاة ورؤيته هو أيضاً حول ذلك - ليست واحدة .

وهذا الذي أفضى إليه التحليل من صفةِ ضمير الشأن ، كما ذكرته ، أمرٌ ممكنٌ ، لمن اتخذَ لهذه المعرفة أسبابها ، بلا عجلةٍ ولا ترددٍ ، وهذه أولُ الطريق من الوجه الذي يتيح لنا أن نستخلص منه دلالته ودوره في انسباك وانحباك بنية السورة من جهةٍ ، والنص القرآني من جهةٍ أخرى، وهو عندي صحيحٌ لا أشكَ فيه ، وعلى هذا وجب أن تكون مدارسته على هذه الشاكلة ، ملتمسين ما يكشف عن التماسك النصي .

إذا كنا ذكرنا أن ضمير الشأن يقع ضمن القسم الأول والثاني والثالث ، وأوجزنا رؤيتنا حوله ، فإن تقسيمنا ، لم يكن على أساسٍ لغويٍ صرفٍ ، وإنما جاءَ تبعاً لما تمليه عليه السياقات ، وما تؤديه من دلالة ، وهو ما جعل الضمير

التفسير ، فالضمير يعمل في الاتجاهين أصالةً ، وأن السَّبك والحبك ، فيما يتعلق بضمير الشأن تحديداً - وجهان لعملةٍ واحدةٍ ، لا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر.

٥-أنه في سورة الجنّ ، يمثل رؤية عامة ، أجمع عليها النحاة والمفسرون، وبالتالي فإن رؤيتهما واحدةٌ حول إحالة ضمير الشأن ، بيد أن هذا ليس على إطلاقه ، إذا وجدنا تصوراتٍ لما أوردناه من نتفٍ حول تصورات الزمخشري وتسويره وتصويره لهذا الضمير ، ولم يستطع أن يقيد نفسه في حدود رؤية النحاة الضيقة ، على الرغم من علمه وذكره لرؤيتهم في صدر كلامه ، وهي رؤيةٌ يتفق فيها مع النحاة من ناحيةٍ ، ومن ناحيةً أخرى تتفق مع ما أورده هو ذاته في صدر تحليله للآيات التي تشتملُ على ضمير الشأن ، لكنه لم يستطع ــ بناءً على مادة البحث ــ أن يأخذ بتلك الرؤية التي تبناها في صدر كلامه المتفقة مع ما ذكره هو في المفصل والنحاة بشكلٍ عام ، وبالتالي فإنّ رؤيةَ النحاة ورؤيته هو أيضاً حول ذلك - ليست واحدة .

وهذا الذي أفضى إليه التحليل من صفةِ ضمير الشأن ، كما ذكرته ، أمرٌ ممكنٌ ، لمن اتخذَ لهذه المعرفة أسبابها ، بلا عجلةٍ ولا ترددٍ ، وهذه أولُ الطريق من الوجه الذي يتيح لنا أن نستخلص منه دلالته ودوره في انسباك وانحباك بنية السورة من جهةٍ ، والنص القرآني من جهةٍ أخرى، وهو عندي صحيحٌ لا أشكَ فيه ، وعلى هذا وجب أن تكون مدارسته على هذه الشاكلة ، ملتمسين ما يكشف عن التماسك النصي .

إذا كنا ذكرنا أن ضمير الشأن يقع ضمن القسم الأول والثاني والثالث ، وأوجزنا رؤيتنا حوله ، فإن تقسيمنا ، لم يكن على أساسٍ لغويٍ صرفٍ ، وإنما جاءَ تبعاً لما تمليه عليه السياقات ، وما تؤديه من دلالة ، وهو ما جعل الضمير

يقع في الأقسام المقترحة ، على الرغم من الصفات الجامعة له في البنية اللغوية .

بيد أن أحداثَ القسم الثاني (٤ ــ ١٧) وردت بما يشبه (التذكر) وقد اقترحته عنواناً له، ويعد هذا المحور مشاركاً لما هو في القسم الأول الذي اقترحت له (فترة الإيمان الأولى) ، وعلى الرغم من أن الأحداث على مستوى الزمن الموضوعي متمايزة ، فأنها على مستوى الزمن الذاتي تتلاشى ، ويبقى (نفر من الجنِّ) هم محورَ القضية الأساسية التي تتمركز حولها الأحداثُ المختلفة ، وليس الجنُّ الكافرون هنا ؛ لأنّ الأقسام المقترحة للسورة تشتملُ عليها ضمناً وصراحة ، صراحة إذ ورد ذكرهم في القسم الأول من الآية الأولى .

وفي القسم الثاني من الآية / ٥ ، ٦ ، ما يؤكد اقتراحنا حول تقسيم هذه السورة من ناحيةٍ ، وأن القسم الأول وردت فيه مرةً واحدةً ، وفيما تــلا ذلــك إحالة الضمائر والأحداث بما يجعل من الجن من ناحية أخرى ، ومن الأحداث المترتبة على سماع القرآن محوراً مركزياً في هذا القسم ، والأمر ذاتــه فــي القسم الثاني (الآية / ٥ ، ٦) ، وبالتالي ورد مرتين ، وفي هذين الموضــعين المذكور فيهما الجن (٥ ، ٦) وردا مع ضمير الشأن ، وقد ذكر أن إعادة هذا الضمير ، يعكس تكراراً لابد منه ؛ إذ يشير بشكل أو بآخر إلــى الأحــداث المتباينة ، وهو ما يتفق مع أحداثِ القسم الثاني الذي أطلقنا عليه (فترة التذكر)، وهو ما يعكس أن ثمة أحداثاً كثيرة ، تأتي في الزمن الذاتي متداخلةً مع الزمن الموضوعي ، وبالتالي تتسق هذه الرؤية مع ما أوردناه من أن ضمير الشــأن كثيراً ما يعكس أحداثاً داخليةً مختلفةً . ويتفق هذا الاستخلاص مع حالة (التذكر) التي تستدعي أحداثاً متباينةً ، يتداخل فيها الزمنُ الموضوعي والزمنُ الــذاتي ، بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر .

وإذا كان ضميرُ الشأن يأتي في القسم الأول بما يشكلُ محوراً أساسياً ؛ فإنّ تمكن استماع القرآن ، والنتيجة المباشرة (فقالوا . . .) الآية /٢ تخصيصٌ لما هو واردٌ في الجزء الثاني من الآية الأولى ، والآية/ ٣ ، أكثرُ تخصيصاً لما هو واردٌ في الآية / ٢ ، ومن ثم فالعلاقةُ القائمةُ بين الآية /١ ، والآية /٢ علاقةُ المقاربة ، وأنها تخصيصٌ للآية الأولى .

الآية الأولى	الآية الثانية	الآية الثالثة
عامة	خاصة	أكثر تخصيصًا
(استماع القرآن)	(الإيمان)	(عدم الشرك فى الحال وفى المستقبل)

ولما كانت الآية الثانية تفصيلاً للآية الأولى ، فإن الآية الثالثة تأتي تفصيلاً لما هو واردٌ في الآية الأولى والثانية ، وبالتالي نلاحظ المشاكلةَ بين الآية الثانية ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدا﴾ والآية/ ٣ ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾ .

وإذا كانت المرحلة الثانية (٤ ــ ١٧) تبدأ بضمير الشأن ، لأنه يعكس قضيةً مفارقةً عما ورد قبلها في الآية /٣ من ناحيةٍ ، ومن ناحيةٍ أخرى ، يعكسُ هذا التذكر أن أحداثه تقع جميعها في الماضي ، وربما يكون الابتداءُ به يمثل نوعا من أنواعِ الربط بينِ أحداث القسمين المقترحين ، وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في موضع آخر من البحث (ينظر : ٢ / ١ / ١ من البحث) ، وعلى الرغم من انتمائهم إلى قسمين متمايزين ، فإن الركيزة الأساسية في كل قسم واحدة (الجن) من جهة ، وباستعمال حرف العطف (الواو) من جهة أخرى ، بما يشكل منها ربطاً عاماً ، وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر (ينظر : ٢ /١ /٣ من البحث) .

٣ / ١ : الإعادة بالاسم الموصول :

وإذا كنا قد ذكرنا جانباً من دور ضمير الشأن ، وكيف يعمل في ظاهر النص وفي عالمه أصالة . فها نحن نشير إلى جوانب إحالية أخرى على سنة

الاختصار ، ونقصد العناصر الإحالية الأخرى الموجودة في السورة أو المنتجة للجوانب اللغوية للسورة ، وأذهب إلى أن اسم الموصول هو الكائن في السورة، خلافاً لما أوردناه قبلاً ، وحسبي من سوق الآيات فيما يلي :

٩- وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا .

١٠- وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا .

١٣- وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا .

١٤- وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا .

١٧- وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا .

٢٣- وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا .

٢٦ ، ٢٧- عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا .

٢٨- .... وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا .

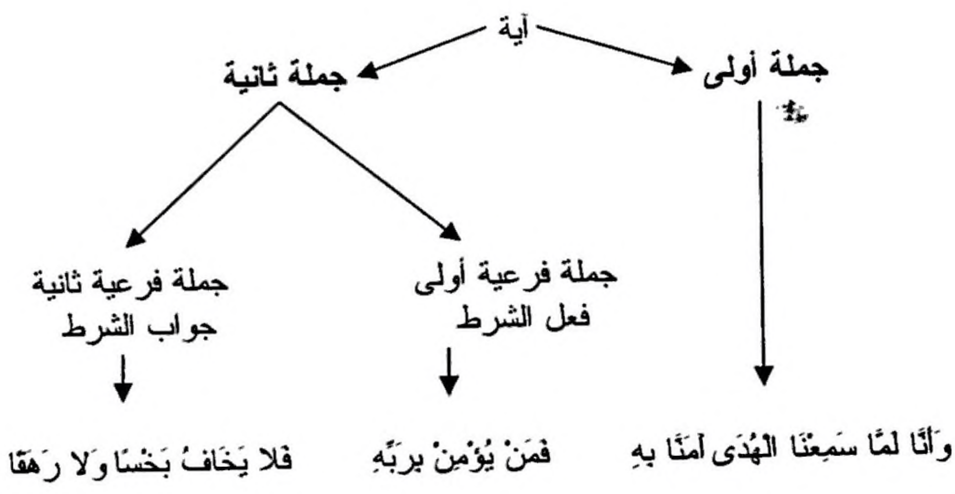
وإذا أردنا أن نستخلص شيئاً في هذا الجانب ، يمكننا استظهاره فيما يلي :

١- أن (من) هي الواردة في الجانب اللغوي في كل أرجاء السورة، خلافاً لما هو وارد في الآية/٢٨.

٢- أن من الواردة بمعنى (الذي) جاءت في وسط الآيات باستثناء الآية /٢٣ ، وعلى ذلك فإن ملاحظ عدة ، يمكننا تسطيرها فيما يتعلق بـ (بمن) :

١- إذا كانت (من) واردة في وسط الآيات ، فإن هذا يجعل منها عنصرَ مقارنةٍ ، بين ما هو قبلها من ناحيةٍ ، وما يليها من ناحيةٍ أخرى ، لكن هذا لا يكون من خلالها منفردةً ، وإنما بمساعدة الفاء الرابطة بين الجملة التالية والجملة السابقة ، وعلى هذا تكون رابطةً بين جملتين ، وإن وقعا داخلَ

حدود الآية ، والفاء مساعدة لـ (من) و (من) مساعدة للفاء من ناحيةٍ ، ومن ناحيةٍ أخرى ، فإن (فمن يستمع) تمثل أداةَ شرط (جملة الشرط) يترتب عليها جواب الشرط ، ومن ثم يكون عمل (فمن) ذا شقين، الأول : يمثل عنصراً رابطاً بين جملتين داخل حدود الآية الثانية : تكون أداة للجزم؛ وهي تربط ربطاً ضيقاً بين جملتين، كما تمثله الآيات (٩، ١٣، ١٤) ، بينما تبقى الأولى ربطاً أوسع ، لكن المقارنة بينهما تتضح فى أن كليهما يظل داخل حدود الآية . على أية حال ، إن ما وجدناه في السورة من الأسماء الموصولة خاصة بـ (من) و(ما) يتعدى حدود الجملة أو جملتين فرعيتين تقعان ـ لا محالة ـ داخل حدود الآية .



ويمثل هذا التقسيم السمة الفعلية لتقسيم العلاقات القائمة مع الاسم الموصول (من) تحديداً ، وإن كان قد وردت الآية /٢٣ لتمثل مفارقة من ناحيةٍ ، ومن ناحيةٍ أخرى لتشتمل على الجملة الثانية في المخطط السالف الذكر . وإذا كانت الأسماء الموصولة تربط داخل حدود الآية على مستويات

متفاوتة ، فإننا استظهرنا في بحث سابق [1] (من) في القرآن الكريم ، وكيف تعمل داخل حدود الآية وخارجها . وبناء على ذلك فإن الاستنتاج المستخلص هنا ، لا يمثل إلا تصوراً لما هو داخل أسوار السورة ، أما التصور العام ، فنجده مثبتاً ثمة .

١/ ٢ : الإعادة بأدوات العطف :

نلاحظ أن الفواصل القرآنية داخل سورة الجن تأتي فيها من خلال حرف العطف (الواو) خلافاً لبعض المواضع التي وردت على خلاف ما ذكرت ، ونحاول أن نستثمر ذلك التقسيم الذي اقترحته في صدر البحث . فإذا كانت (الواو) حرف عطف ، فإننا نحاول أن ننظر إليها داخل إطار السورة نظرةً مفارقةً لما أوردته كتبُ النحاة ، بناءً على ما اقترحته من تقسيم .

ويفيدنا ذلك التقسيم أن سورة الجنّ ، تأتي من خلال ثلاثةِ أقسامٍ ، يشتمل بعضها على أقسامٍ فرعيةٍ ؛ نظراً لاعتباراتٍ ذُكرتْ في موضعها ، ومن هنا ، فإن (الواو) العاطفة تقع داخل ، وعلى حدود ذلك التقسيم المقترح ، وعلى هذا فإننا يمكننا أن نخلص إلى ما يلي :

القسم الأول : فترة الإيمان الأولى ، من الآية رقم (١ ــ ٣) .

القسم الثاني : فترة الإيمان الثانية : فترة التذكر ، من الآية رقم (٤ ــ ١٧) .

القسم الثالث : مرحلة الدعوة الأولى، الآية الأولى فقط من سورة الجن.

القسم الرابع : مرحلة الدعوة الثانية، وتمثلها الآيات رقم (١٨ ــ ٢٨).

(١) ينظر لكاتب هذا البحث : الوظائف الإحالية لجملة الصلة في القرآن الكريم ، ص ٨٨ ــ ١٠٢، وقد أبنا عن دورها في تعدي حدود الآية الواحدة ، وكذلك داخل حدودها.

ويفيدنا إعادةَ التصور المطروح حول تقسيم السورة مرةً أخرى - أن (الواو) الواقعة على صدر هذه الأقسام مثل الآية /٤ (بداية القسم الثاني) والآية ١٨(بداية القسم الثالث) تؤدي وظيفةً مفارقةً ، لتلك (الواوات) التي تقع داخل تلك الأقسام ، ومن هنا ، فلدينا رؤيتان مع الواو ، الأولى : التي تقع في صدر تلك الأقسام المقترحة ، الثانية : التي تقع داخل حدود الأقسام المقترحة .

وحاصلُ ذلك ، أن ما أوردناه يفيد أن الواو تعمل عملين ، على الرغم من أن الناظر إليها نظرةَ العجلان يرى خلافاً لذلك . فحين تقعُ في صدر الأقسام المقترحة ، يكون ربطها عاماً ، بمعنى أنها تربط بين أحداثِ مجموعتين سابقةٍ ، ولاحقةٍ ، وبالتالي فإن ربطها بين أحداثِ أقسامٍ ، وليس بين حدثين في آيتين ، وهذا فيما يتعلقُ بالربط العام . أما الربطُ الخاص فيردُ مع (الواوات) التي تقع داخلَ الأقسام التي اقترحها ، وبالتالي فإنها تربطُ ، بين جملتين أو حدثين ، يكوّنان فيما بينهما البنيةَ الكبرى لأحداثِ القسم أى المجموعة داخل حدود القسم ، وبناءً على هذه الرؤية ، يمكننا اعتبار أنَّ الواو تقومُ بنوعين من الربط :

١-الخاصُ (ربط جزئي) هي تلك التي تقع داخل حدود الأقسام المقترحة ، ومن ثم تربط بين حدثٍ أو حدثين ، مكونةً بنية القسم ، وبناءً على ذلك ، فالربطُ الخاصُ مهمٌ لانسباك وانحباك الحدث الأقل المكوّن لبنية القسم ، وهذا الانسباك يقوي أجزاءَ القسم الواحد ، ويشدُ من أوصاله ؛ لكي يُسَلِّمَ هذا الارتباط إلى الربط العام ، وينبغي أن يلاحظَ أن هذا الارتباط الخاص ضروريٌ وأساسيٌ لتحقق الارتباط العام ، فإذا كان الربط الخاص تُبنى عليه البنية المكونة لأحداثِ البنية الكبرى والقسم - فإنه لازمٌ وضروريٌ لتحقق الربط الأوسع . كما يلاحظ أن أنماطَ الربط الخاص أكثر وروداً من أنماط الربط العام ، وتأتي أنماطه منتشرةً بشكلٍ عامٍ في

كل مواضع السورة ، باستثناء بعض المواضع التي أشرت إليهـا ، بمـا يشكّل منها سمةً عامةً ، ويجعل هذا الاقتراح الـذي تصـورناه مقبـولاً ومعقولاً .

٢-الربطُ العام (ربط كلي) حين تقع في صدرِ الأقسام المقترحة ، وعندئذٍ تربطُ بين أحداثٍ عامةٍ مكونةً فيما بينها البنية الكلية للسورة ، وهذا الربطُ في غاية الأهمية ؛ وهو ربطٌ بين أطرافٍ متباعدةِ الأقسام مكونـةً لبنيـة السورة . وينبغي الإشارةُ إلى أن هذه النوعية تأتي منتشرةً على مساحاتٍ منتظمةٍ تبعاً لأحداث السورة ، وهي قليلةٌ من حيث الاستعمال مقارنةً بما تقوم به من الربط الخاص .

ومن ثمَّ ، فالربطُ الأولُ (خاص) ، بين بنية الآيات داخل التقسيمات المقترحة في صدر البحث ، ومن ثمَّ فإنَّ الأولَ ضروريٌ ، بل لازمُ لتماسك الأبنية الصغرى ، ويترتبُ عليه تماسكٌ كليٌّ ، يعكسه الترابطُ العامُ بين التقسيمات المقترحة لـ(بنية السطح) الذي يترتبُ عليه تماسكٌ لبنية عالمِ النص . أمَّا الربطُ الثاني (العام) فيربطُ بين التقسيمات الكلية المقترحة والمكونة للبنية اللغوية الكلية للسورة .

١/ ٣ : الإعادة بضمير الذات :

تتبدى للناظر في التقسيم الذي اقترحناه صدر هذا البحث ، أنه لم يأتِ إلا بناءً على الصلات الرابطة بين أحداث كل فترة ، ولعل تقسيمنا يظهر أن هذه الأقسام لم تأتِ مرسلةً إرسالاً .

وإذا كان مجمل ما وردَ في السورة على لسانِ النفر الذين آمنوا من الجنِّ ، فإن من يمعن النظر يجد المفارقةَ في أن هذا الكلام (المُوحَى به) جاء على فتراتٍ مختلفةٍ ، كونت في مجموعها البنية الكلية للسورة ، ومن ثم وردتْ لفظةُ (الجنّ) في الآية الأولى فقط ، ثم أُحالت إليها الضمائرُ المتكلمةُ على

مستوى بنية ظاهر السورة ، متخذةً منها متكأ لأن تكون ركيزةً أساسيةً في إحالة كل ضمائر الذات المتكلمة عليها ، وبما يُشَكِّلُ منها محوراً أساسياً ، ليس في أحداث الفترة الأولى فقط ، وإنما على مستوى الفترات المقترحة التالية المكونة لبنية السورة ، وعلى هدى من هذه الرؤية ، رأينا فترةَ الإيمان الأول (١ ــ ٣) لم تأت (إنَّا) بهذه الصيغة إلا مرةً واحدةً ، وجاءت مع ضميرِ الشأن مرةً واحدةً (وأنه) في صدر الآية / ٣ ، وهكذا ورد الحرفُ (إن) في شكلين داخل فترة الإيمان الأولى ، بما يُشكل انسباكاً وانحباكاً داخل الفترة الأولى (الإيمان) ، وقد خلت الآية /٢ ، ولذلك حديث آخر نستقبله في موضع آخر من البحث .

وتبقى أحداثُ المرحلةِ الثانية كلها في الماضي ، ويمثل الجنُ فيها مركزَ الدائرة ، خاصةً أولئك النفر الذين آمنوا ، وهي ما سميتُها بفترة التذكر الأولى (أو فترة الإيمان الثانية) ، بما يشيرُ إلى أنها كانت في الماضي ، وهي رؤيةٌ تؤكدها البنية اللغوية لهذا القسم ، وتؤكد أن الجنَ هم محورُ هذا القسم كذلك ، كما كان في القسم الأول ، أنه بدايةُ المرحلة الثانية ، وتحديداً في ٥ ، ٦ ، يعود ذكر الجن مرةً أخرى ، تنشيطاً لما هو واردٌ في الآية الأولى ، ودليلا على أن هذه الآيات بها قضايا فرعيةٌ تبنى عليها أحداثُ القسم كله ، وقد ذكرنا شيئاً من هذا ، فيما أوردته من تحليل بشيء من التفصيل .

ومما يؤكد أن تقسيمنا صحيحٌ ، وهو إن شاء الله كذلك ، حينما وردَ الجن في صدر المرحلة الثانية (٥ ، ٦) لم يردْ في هذه المرحلة ، وورد مرةً أخرى في المرحلة الثالثة الآية / ١٩، وبالتالي يشير عدم التصريح، إلا مرةً أو مرتين في كل مرحلةٍ إلى أن الإحالة إليه لازمةٌ ، ومن جهة أخرى ، فإنها تدل على أن اقتراحنا لتقسيم نص السورة صحيحٌ ، وعلى الرغم من أن كل آيةٍ

تكاد تكون تذكراً قائماً بذاته ، فإن العنصر الجامع بين هذه الأحداث يتضح فيما يلى :

١- عنصر التذكر في (الماضي) .

٢- أن الضمير (أنا) في صدر كل الآيات (وتحديداً في المرحلة الثانية) يشير إلى وحدة فاعل التذكر (نفر من الجن) .

٣- أن الأزمنة النصية المستعملة في المرحلة الثانية (٤ ــ ١٣) (فترة التذكر الأولى) تتضح فيما يلى :

٤- وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ .

٥- ١٢ وَأَنَّا ظَنَنَّا .

٦- وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ .

٧- وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ . . . .

٨- وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا . . . .

٩- وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ . . .

١٠ــ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً .

١٣ــ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ . .

وتعتضد هذه الرؤية بما أسلفنا فيه القول ، إنَّ وحدة الضمير تشير إلى وحدة فاعل (التذكر) ، ولما كانت في الماضي ، فقد وردت الأزمنة كلها لتؤكد أن زمن التذكر على الرغم من أنه في اللحظة الآنية - يستدعي أحداثاً في الماضي ، ويُستقى هذا العنوان من دلالاتِ إعادةِ الضمير(أنا) .

وإذا كنَا اقترحنا أن (الواو) في السورة تمثل نوعين من الربط (الخاص والعام) فيما أوردناه أعلاه ، فإن ربطها بين آيات المرحلة الثانية ، تمثل سبكاً ، تتماسك من خلاله البنية اللغوية لهذه المرحلة ، والعطف أى الربط بين القسمين يمثلُ ربطاً أوسع ، والربطُ الداخلي (داخل أقسام المجموعة

الواحدة) ربط ضيق ، لكن المفارقةَ بينهما تبقى في أن الربط داخل الأقسام المتفرقة أكثر قوة وتماسكاً ، ومن خلاله تتشابك وتتماسك البنية المكونة للقسم بشكل خاص . أما الربطُ بين القسمين ، فربطٌ أوسعُ ، ومن ثم فهو يتكئ على الربطِ الخاص ، فكلما كان أوسعَ ، كان محتاجاً إلى الربط الخاص ، الذي يمده بتلك القوة التي تساعده على أن يتعدى حدود القسم الواحد ، وهذا يتناسب تناسباً عكسياً مع الربط الضيق ، الذي تنسبك وتنحبك به أجزاء المرحلة الواحدة .

وتأتي المرحلة الثالثة (١٨ ــ ٢٨) للحديث فيما يتعلقُ بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ، وبهذه المرحلة تنتهي أحداث السورة ، لكن ذكر النبي صراحة لم يأتِ ، فقد حذف ودل عليه دليلٌ ، وعقب الآية / ١٧ ، بدأت الأحداث تأخذ شكلاً مختلفاً عن الآياتِ السابقات ، وفيها بدأ ذكر النبي - ﷺ - يمثل المحور الأساس في المرحلة الثالثة (فترة الدعوة الثانية) وبهذا يتسق المعنى المراد مع ما هو وارد في بداية السورة ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ . . .﴾ وفي الآيات (١ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) بـ " قل " ، وبين الآية الأولى ، حيث بدأتْ بمخاطبةِ النبي ــ ﷺ ــ وبين القسمِ الأخير (الدعوة) إعادة لفظية مع الفعل (قُلْ . . .) بحيث تحيل المرحلة الأولى إلى القسم الأخير ، أو العكس من خلال الإعادة اللفظية ، وهو ربطٌ بين أطراف النص المترامية الأطراف (الآية / ١ والآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) لفظياً، بل إن آياتِ القسم الثالث (فترة الدعوة الثانية) ، لا تنحصر في تلك الآيات فقط ، وإنما في الآيات (١٨ ــ ٢٨) ، وبالتالي فإنّ الرابط واحد ، أو إننا إذا كان لنا من اقتراح عنوانٍ لهذه السورة ، خلافاً لما أورده الحقُ سبحانه، بناءً على هذا الاستخلاص ، فيكون (دعوة الجن) أو (الدعوة) ، وعلى هذا الأساس ، فإن القسم الثالث المقترح في صدر البحث يمثل الركيزةَ الأساسية ؛ لأنه القسمُ الذي انبنت عليه أحداث القسم الأول (الإيمان) أو أن القسم الأول والثاني كان نتيجةً للقسم الخاص

بالدعوة ، فإذا كانت الدعوة تأتي مرحلةٍ أولى فإن حالةَ الإيمان ، تأتي مرحلة ثانيةٍ ، وحالة التذكر تأتي مرحلة ثالثة ، وهكذا يمثل القسم الثالث قسماً فعلياً ، تنبني عليه الأحداث المكونة للبنية اللغوية من ناحيةٍ ، ومن جهةٍ أخرى أحداث السورة كاملةً ، ومواضع أخرى من النص القرآني .

ويشير هذا التدرج في الأحداث (والأقسام) إلى ملاحظة تعين على اجتلاءِ الصورة الأكثر صفاءً ووضوحاً مع النفس حال إيمانهم ، ومن ثم يجدون في استعادةِ الأحداث الماضية (فترة التذكر) نشوةً كنشوةِ المفارقةِ بين الحالتين، حالة الكفر قبل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وحالة الإيمان بعد الدعوة لأفضلية حالة الإيمان الثانية (فترة التذكر الأولى) ، وكأنَّ هذا القسم ناتجٌ عن المفارقة بين الحالتين ، ويدل على الوضوح مع النفس وصفاء التكوين وجودة القريحة ، خلافاً لكل الأحداث الماضية ، وفي ذلك تبكيتٌ لكفار قريش من وجوه كثيرة ، لا جدوى من إيرادها في هذا الموضع .

ويشيرُ هذا التصور إلى أهميةِ الدعوة بالحسنى في تنميةِ الإيمان ، وأن هذه كانت طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يوسف / ١٠٨ ، وعلى هذا الملحظ ، نخلص إلى التركيز على الدعوة بالحسنى وأهميتها في ترسيخِ قضية الإيمان ، حتى لو كان المدعوُّ نفراً قليلاً ﴿ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) .

وإذا نظرنا إلى سورة الجن ، وجدنا الضمائر ابتداءً من الآية (١ ـ ١٣) تأتي باستعمالِ ضمير المتكلم ، وهذا مظهر دال على الرؤية المحورية (الجن) ، ويتسق هذا مع عنوان السورة ، وتتشكل الضمائر في الآيات التي تقع داخل الآيات المحددة أعلاه ، وذلك من خلال صيغة الجمع الواقعة في صدر الآيات :

٥ـ وَأَنَّا ظَنَنَّا .

٨ــ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء .

٩ــ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ .

١٠ــ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ .

١٢ــ وَإِنَّا ظَنَنَّا .

١٣ــ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى .

وبصيغة الجمع مع الأفعال :

١ــ فقالوا . . . . سمعنا .

٢ــ فآمنا . . . . نشرك .

٦ــ يعوذون . . . . . فزادهم .

٧ــ ظنوا . . . . . ظننتم .

٨ــ لمسنا . . . . . فوجدناها .

٩ــ كنا . . . . . نقعد .

١٠ــ لا ندري .

١١ــ كنا .

١٢ــ ظننا . . . . . نعجز . . . . . . نعجزه .

١٣ــ سمعنا . . . . . آمنا .

وبصيغة الجمع مع الأسماء والحروف :

٢ ، ٣ ، ١٠ ، ١١ : ربنا ، ربنا ، بهم ، منّا .

وتبدأ الآيات بضمائر تأخذ سمة محددة ، وهو ضمير الشأن :

١- قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ .

٢- وَأَنَّهُ تَعَالَى .

٤- وَأَنَّهُ كَانَ .

٦- وَأَنَّهُ كَانَ رِجَال .

نجدُ ابتداءً من الآية (١ ــ ٧) الحديث عن إيمانِ الجن لما سمعوا القرآن ، وتنزيهه سبحانه عن اتخاذ الصاحبة والولد . . . ثم تنتقلُ الآيات من ٤ ــ ١٣ بوصفه نوعًا من أنواع استرجاع الماضي ، فيما كان يحدثُ منهم ، وبالتالي لو أردنا ترتيب الآيات من ٤ ــ ١٣ ، لجاءتْ في صدر السورة ، من حيث الحدثُ الزماني ، ثم تأتي الآياتُ من (١ ــ ٧) كلها مباشرةً ، وعلى هذا الأساس ، نجد ضميرَ الجمع على اختلافه ، يأتي باعتباره حديثًا منهم لما كان حاصلاً قبلَ إيمانهم ، ومن ثم ، تعد الآيات من (٤ ــ ١٣) نوعاً من الحديث عن الماضي في الحاضر ، وإذا كنتُ قد ذكرتُ أن ترتيب الأحداث ، يمكن أن تأتي الآيات من ٤ ــ ١٣ في صدر السورة ، ثم تأتي الآيات من ١ ــ ٧ تاليةً لها ، كترتيبٍ تاريخي . فإن عمودَ الصورةِ يُوشكُ أن يزول ، إذا ما اعتبرنا أنَّ الآيات (٤ : ١٣) حديثٌ عن النفس في الماضي ، وحديثهم فيما أظن جاء نتيجةً لإيمانهم ، فلولا إيمانهم لما كان الحديث عن النفس في الماضي ، فالمفارقةُ بين الحالتين ، حالة الإيمان الآنية ، وحالة الكفر الماضية ، استدعتها حالة الإيمان الحالية عن حالة الكفر الماضية ، والمقابلة بين الحالتين واضحةً ، وبالتالي فإن هذه المفارقة تظهر جوانبَ مهمة إن هذه المجموعة الثانية ، إنما هي نتيجةٌ مترتبةٌ على الآيات في المجموعة الأولى (من ١ ــ ٣) .

وتأتي النقلةُ النوعية الرابعة ، ابتداءً من الآية (١٣ ــ ١٧) بوصفها حديثا عن المماثلة ــ من حيث الإيمان ــ بين الجن والإنس ، وأن الجن كانوا أكثرَ إيماناً وتصديقاً حين آمنوا من كفار مكة ، وفي هذه المجموعة لا يزال الوصف الوارد في آيات المجموعة الثانية ، حيث الحديثُ عن النفس كذلك ، و له صلةٌ من نوعٍ ما ، هذه المجموعة والمجموعة السابقة من الآيات . وأبقي عليها للاستفادة منها في التحليل . أما النقلةُ الأخيرةُ والمهمة ، فهي حديثُ النبي

(صلى الله عليه وسلم) ، وتبدأ من الآية (٢٠ ــ ٢٨) وسماتها الفعل (قل) كالتالي : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ : قل .

والآن : أيمكنُ أن تكون السورةُ الواحدةُ حسب التقسيم المقترح في صدر البحث ، وما أوردناه له من تحليلٍ ، إلا نوعاً من بيانِ التماسك النصي داخل السورة من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى بين مواضع من السورة ، والسور الأخرى من النص القرآني ؟ .

٢/ . : مظاهر الحبك ودورها في التماسك النصي :

و نقصد بالقضايا التي تختصُ بحبك النص ، كل القضايا غير الظاهرة على سطح الورق ، لكنها عناصرُ مؤثرةٌ في تكوين بنيته ، وعلى ذلك فهي عناصرُ مفهومية قائمةٌ على الملاحظة ، خلافاً لمظاهر السبك البادية في المكون اللغوي ، وعلى ذلك فمظاهرُ احتباك النصوص كثيرة ، ومحاولةُ حصرها بوجه عام يحتاج إلى نوعٍ من تضافر الجهود ، ولا يستطيع أن يقومَ بها باحثٌ واحدٌ ، وإنما ينبغي أن يتصدى لها أولو العزم من الدارسين ؛ لكي نخلص بعد فترةٍ من البحث الجاد إلى نظرية عربية في هذا الشأن .

٢/١ : المقابلة :

١/ ١ : المقابلة اللفظية :

١/ ١ : المقابلة .

١/ ٢ : خارج حدود الآية .

١/ ٢ : المقابلة المعنوية :

٢/١ : المقابلة بين المعاني داخل حدود الآية :

٢/٢ : المقابلة بين المعاني :

وعلى الانتظام والاتساق المجمل المذكور عاليه ، نشير بشيءٍ من الإبانةِ والتفصيلِ في المطلب التالي.

وأولُ ما يلاحظ من مظاهر احتباك النص وأدناها إلى الملاحظة المباشرة المقابلة اللفظية والمعنوية ، والتفصيلُ بعد الإجمال ، وكلها عناصرُ مفهومية غير ظاهرة في المكون اللغوي ، خاصة أنها قائمةٌ على ما لاحظته مما هو وارد في السورة ، وربما كانت هنالك قضايا غابتْ عنّي ، فأرجو أن يكون هذا التصور كافياً في تقديم الملامح الجوهرية المائزة في هذا الشأن .

٢/ ١ : المقابلة :

١ / ٢ : المقابلة اللفظية :

نقصد بها المقابلةَ التي تتحققُ من خلال الألفاظ الصريحة ، سواء أكانت مفردةً أم جملةً ، خلافاً للمقابلة بين المعاني الضيقة أو الواسعة التي لا تظهرها البنية اللغوية ، على ما نحاول بيانه فيما نستقبله من تحليل في المطلب التالي :

١/٢ : المقابلة بين الكلمات :

إذا أردنا أن نستظهر هذه النوعية ، وجدناها إمّا أن تقع داخلَ حدود الآية ، وإمّا أن تقع خارجها ، فإذا كانتْ واقعةً داخلَ حدود الآية ، فحسبي من ذلك مما أورده من شواهدَ فيما يلي :

٢ـ يهدي/ نشرك ، آمنا / نشرك .

٥ ، ٦ ـ الإنس/ الجن .

٥ـ ظننا / كذبا .

٦ـ رجال من الإنس / برجال من الجن .

١٠ـ أشر/ رشداً .

١٤ـ المسلمون/ الفاسقون .

٢٥ـ قريب / أمدا .

٢٧ـ بين يديه / خلفه .

٢٦ـ يظهر/ غيبه/ الغيب .

وأما إذا كانت واقعةً خارجَ حدود الآية ، فلها وجوهٌ كثيـرةٌ ، نحـاول بيانَها على النحو التالى :

القسم الأول : فترة الإيمان الأولى ، وتمثلها الآيات من (١ـ ٣) :

(غير موجود) .

القسم الثاني : فترة التذكر (فترة الإيمان الثانية)، وتمثلها الآيات مـن (٤ ـ ١٧) :

٨ ، ٦ ، ١٢ ـ السماء / الأرض .

٦ ، ١٠ ـ رهقاً/ رشداً .

١١ ، ١٤ ، ١٥ـ الصالحون / القاسطون .

١٥ ، ١٦ ـ لجهنم / ماء .

القسم الثالث : فترة الدعوة الثانية، وتمثلها الآيات من (١٨ـ ٢٨) :

١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ – تدعو ، يدعوه ، أدعو/ يعص .

٢٣ ، ٢٧ـ يعص/ ارتضى .

وتشيرُ المدوناتُ التي أوردناها أعلاه إلى أن الخاصيةَ الجوهرية فـي المقابلة داخل حدود الآية ، يكون عملها أقوى ظاهرياً من خلال استباك واحتباك بنية الآية الواحدة ، وهذه الصفةُ الأكثر انتشاراً في سورة الجن ، وربما يمكـن تعميمها من خلال النص القرآني كله ، إذن المقابلة اللفظية المفردة تعمل أصالةً في ظاهر النص ، من خلال استرجاع وإيضاح المعاني ؛ تبعاً لإيضاح المباني، وعلى ذلك فهي أكثرُ أنواع المقابلات ، فيما أرى حتى الآن . هكذا يتحدد دورُ المقابلة في سورة الجن ، وغالباً في النص القرآني ، ودورها هو احتباكُ بنيـة النص الضيقة (الآية) ، ومن ثمَّ يعد هذا النوعُ تأسيساً ، إذ يقـوي أواصـرَ العلاقات الحاكمة داخل حدود الآية ؛ تمهيداً لقيام بنية لغوية أخرى ، تكمّل ما لم تستطع المقابلةُ أن تؤديه . ومن ثمَّ فإنّ عملها خارج حدود الآية قائمٌ وكـائنٌ ،

لكنه أقلُ ، وإنْ كان لا يمثّل استعماله سمةً أساسـيةً ، مثـل مـا هـو عليـه داخل الآية .

٢/ ٢ : المقابلة بين الآيات :

١٤ ، ١٥ ــ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً ، وَأَمَّا الْقَاسِـطُونَ فَكَـانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً .

١ــ ٣ (القسم الأول) حالة الإيمان / ٤ــ ١٣ (القسم الثاني) حالة التذكر الأولى .

يلاحظ أن المقابلةَ بين الآيتين ١٤ ، ١٥، تمثل احتباكاً داخـلَ القسـم الواحد . فعلى الرغم من أنها تتجاوزُ الآية إلى الآيتين ، فإننا نعتبرها شـيئاً ذا بال . أمَّا المقابلةُ القائمةُ بين القسمين الأول والثاني ، فأمرها أبلـجُ وقضـاياها أوضحُ وأوسعُ ، مما عليه الحالة في المقابلة بين الآيتين .

٢/٢ : الألفاظ المترادفة داخل السورة :

٢/ ١ : الألفاظ المترادفة داخل الآية :

٢/٢ : الألفاظ المترادفة خارج الآية .

٢/ ١ : الألفاظ المترادفة داخل حدود الآية :

١٣ــ الْهُدَى/ آمَنَّا بِهِ .

١٤ــ الْمُسْلِمُونَ/ أَسْلَمَ .

١ــ اسْتَمَعَ/ سَمِعْنَا .

٢ــ يَهْدِي/ آمَنَّا .

٩ــ لِلسَّمْعِ/ يَسْتَمِعِ .

٢٤ــ أَضْعَفُ نَاصِراً / وَأَقَلُّ عَدَداً .

١٣ــ بَخْساً/ رَهَقاً .

٢٨ــ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ/ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً .

١١ــ الصَّالِحُونَ / دُونَ ذَلِكَ .

٢/٢ : الألفاظ المترادفةُ خارج حدود الآية :

٤ ، ٥ــ شَطَطاً/ كَذِباً .

١١ ، ١٤ــ الْمُسْلِمُونَ/ الصَّالِحُونَ ، أَسْلَمَ .

١١ ، ١٤ــ دُونَ ذَلِكَ/ الْقَاسِطُونَ .

١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢١ــ الْهُدَى/ رَشَداً .

٢ ، ١٧ــ يَهْدِي/ يُعْرِضْ .

وَبَيَّنَ أن تداخلَ المعاني سواءً أكانتْ داخلَ الآية أم خارجهـا ، تنتشـرُ على مسافاتٍ متسقةٍ ومنتظمةٍ على مستوى بنية الآيات من جهةٍ ، ومن جهـةٍ أخرى على مستوى الأقسام المقترحة ، بما يشكّل منها احتباكاً لأطرافِ الـنصِ المتباعدة ، وواضحٌ أن ترادفَ الألفاظ خلاف المقابلة (داخلية ، خارجية) فتلك تعمل بأنماطٍ قريبةٍ داخلَ حدود الآية ، أما الترادفُ فيعملُ في مواضع منتشـرةٍ ومتسقةٍ ، بما يجعل منه نوعاً تحتبك به البنية المفهومية .

٣/٢ : إعادة المعاني المترادفة خارج حدود الآية :

٢ ، ١٣ يهدي إلى الرشد فآمنا به / وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به .

٢ ، ٢٠ــ ولَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا / وَلاَ أُشْرِكُ .

٢ ، ٣ــ ولَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا / مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً .

٣ ، ٤ ــ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً/ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً .

٣ ، ٥ــ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً/ أَن لَّن تَقُولَ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً .

١١ ، ١٤ــ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ/ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ .

وواضحٌ أن المعاني على مستوى البنية الصرفية أو البنية التركيبية متعانقةٌ إلى حدٍ يصعب معها في كثيرٍ من الأحيان الفصل بين جوانبها ، مما يشكّل من النص لُحمةً واحدةً متداخلةَ المعاني والمباني لا ريبَ ، ويبقى فصلُ القول في ذلك للسياق غير اللغويِ ؛ لتحديد ما عجزتْ عن تحديده البنية اللغوية .

٢/٢ : التفصيل بعد الإجمال :

١/٢ : داخل حدود الآية .

٢/٢ : خارج حدود الآية :

١/٢ : خارج حدود الآيات المتجاورة .

٢/٢ : خارج حدود الآيات المتباعدة .

وها نحن أولاء نسوقُ تفصيلاً ، لما أوردناه مجملاً على الترتيب والاتساق ذاته :

١/٢ : التفصيل بعد الإجمال الضيق (داخل حدود الآية) :

١ــ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ .

٣ــ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً .

٤ــ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً .

٦ــ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ .

١٩ــ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً .

٢٠ــ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً .

(فإن لاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً) إنما هو تفصيل لقوله (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) .

٢/٢ : التفصيل بعد الإجمال خارج حدود الآية :

١/٢ : خارج حدود الآيات المتباعدة :

إذا كنّا اعتبرنا النوع الأول خاصاً بضمير الشأن ، فيما يتعلق بعملية التفصيل داخل حدود الآية ، فإن ما يمكن وصفه أنه يعملُ في ظاهر النص وفي عالمه ، وذكرنا ثمةَ (ينظر : ٢ /١ /١من البحث) كيف يعملُ في ظاهر النص بما لــه من صلاتٍ لغويةٍ شابكةٍ على سطح القرطاس ، في عالم النص ، بما تؤديه الجملُ التالية بجمل مفردةٍ / مفصلةٍ ، وبالتالي تقع هذه الضمائر الموقعين معاً أصالةً ، وليست بالتبعيةِ ، وهنا يزولُ الإبهام الذي بدت بعضُ جوانبه واضحةً لدى بعض الباحثين إلى أيّ معيار ينتمي ؟! ، ونحن بدورنا نميل إلى عمله في المعيارين معاً ، وهي رؤية تتفق مع ما ارتآه أحد الباحثين أنه يعمل في المعيارين ، وليس في أحدهما ، وذكرنا ذلك قبلاً . والنص الذي يمكن أن نعتمد عليه في السورة هو :

١١ــ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً .

تمثلُ هذه الآيةُ تحديداً صفةً بارزةً ، بما تشتملُ عليه من مقومات ليست لغيرها ، (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) ، وتشير (الصَّالِحُونَ/ دُونَ ذَلِكَ) إلى مقابلةٍ بين فئتين متمايزتين لا ريبَ ، وبالتالي تحملان سمةَ المقابلة ، وإنْ كانتْ (مِنَّا دُونَ ذَلِكَ) تحمل في طياتها دلائل عدة من الصلاح ، أو ما دون ذلك من مراتبِ عدم الصلاح [١]، ومن هنا فهي فئاتٌ شتى ، تفصل بينها موائزُ كثيرة ، وهو ما يتسقُ مع ما يليه من قوله تعالى (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) ويجمع المفسرون على أنها جماعاتٌ متفرقة في الأغلب الأعم ، وتنشأ عن هذه الرؤية بما لها من علاقةٍ بما هو قبلها من الموازنات ، أن لها صلةً بما هو قبلها ، وعلاقة التفصيل للمجمل ، وهو ما أطلق عليه الإمام

(١) أوردت مصنفات التفسير رؤى مختلفة حول هذه المعاني ، ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٣٥ ، الزمخشري : الكشاف ١٤٧/٤، الرازي : مفاتيح الغيب ١٥٩/١٥، أبو حيان : البحر المحيط ٨/ ٣٤٣.

الزمخشري : بيان للقسمة المذكورة(١). ويبدو أن أبا حيان نقل رؤية الزمخشري في أن (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) تفسير ، بيد أنه لم يشر إلى ذلك صراحةً، وذكر فيما تلا ذلك بأن الزمخشري قال : أي كنا ذوي مذاهب متفرقة، أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة(٢).

وتبقى أن (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) ترتبطُ كذلك بما يليها من الآيات (١٤ ــ ١٧) ، فإذا كان الوصف في الآية /١١ (مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) وفي الآية /١٤ (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ)، فإن كلاً منها ترتبطُ بالأخرى من خلال علاقة الإجمال والتفصيل أو التفصيل والإجمال ، وحسبي في هذا المقام الإبانة عن العلاقة الحاكمة والقائمة بين الآيتين في وصفِ حالة الجن قبلَ إيمانهم . وعلى هذا الأساس ، فإن (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) إذا كانت بياناً لما هو وارد داخل حدود الآية ، فإن هذا يعكس أن حبكاً ضيقاً قائماً داخل حدود الآية ، لكنَّ العلاقة تمتد إلى ما هو أبعدُ من ذلك، لتتعدى حدودَ الآية إلى ما هو أبعدُ من الآية المجاورة ، أعني السمات الجامعة بين الآية /١١، والآية /١٤ ، بناءً على ما أسلفتُ فيه القول ، فإنّ (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) ، كما قال الألوسي : كنا ذوي طرائق أي مذاهب أو مثل طرائق، في اختلاف الأحوال ، أو كانت بطرائقنا طرائق قدداً (٣).

وإذا كنا ذكرنا أن الطرائق جمع ، غير أنّ الرأي الراجح عندي ، أن القصد المباشر ، ليس جمعاً للفئات ، وإنما جمعا للأعداد ، على طريقة قول الله تعالى (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . . .) الحجرات / ٩، فالطائفتان ، مثنى واقتتلوا جمع ، لكنَّ المقصودُ ــ والله

---

(١) الزمخشري : الكشاف ٤/ ١٤٧ ، ينظر أبو حيان : البحر المحيط ٨/ ٣٤٣.

(٢) أبو حيان : البحر المحيط ٨/ ٣٤٣ ، وينظر تفسير أبي السعود ٦ / ٣١٦.

(٣) الألوسي : روح المعاني ١٥/ ١١٠.

أعلم ـ أن الطائفتين تشملان على عددٍ من الأفراد الذين يعـدون جمعـا فـي ذاتهم . وإذا كانت هذه الرؤيةُ صحيحةً ـ وهي عندي صحيحةٌ ، إن شاء الله ـ فإن التفسير الذي أشرنا إليه من العلاقة الشابكة بين الآية/١١، والآية/١٤، ومن ثم فإن (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) ، تفسيرٌ لما هو قبلها داخل حدود الآية .

وما هو في الآية /١٤ ، إنما هو تفصيلٌ لـ (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) لما هو في الآية /١١ ، وبناءً على ذلك ، فإن هنالك احتباكاً بين الموضعين ، نحـاول إبراز الركائز الأساسية له فيما يلي :

١- أن العلاقة بين الموضعين ، إنما هى علاقةُ مفهوميةُ ، أي أنَّ (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) بيانٌ لما هو قبلها داخل حـدود الآيـة (وأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) .

٢- أن هذا الاحتباك لبنية العمق داخل الآية ، نشأ عنه احتباكٌ أوسع تعدى حدودَ الآية ، بما يشكل منها بنيةً قويةً متلاحمةً بين الآيات المتباعدة والمكونة في النهاية البنيةَ اللغويةَ لأحداث السورة .

٣- المقابلة بين (الصَّالِحُونَ / دُونَ ذَلِكَ) (الْمُسْلِمُونَ / الْقَاسِطُونَ) لتوضيح مواضع متباعدة ، بما يُظهِرُ احتباكَ جوانب النص من جهة ، ويظهر تفسيراً لهذين المعنيين المتكاملين من جهةٍ أخرى ، بحيث تفسرُ (الْمُسْلِمُونَ) فـي الآيـة/١٤ ، مـا هـو واردٌ فـي الآيـة/١١ (الصَّالِحُونَ / دُونَ ذَلِكَ) في الآية/١٤ بالقاسطين ، وهذه الرؤيـةُ ، تشير إلى مظاهرَ لا غنى من إدراجها في هذا السياق ، مثل :

أ- احتباك الموضعين ، على الرغم من التباعد بين الآيتين ، بحيـث تفسِرُ كلٌّ لفظة الأخرى ، وهذا لا يخفى ما بين الموضعين مـن علاقة .

ب- أن الموضعين يحتويان على أكثرَ من علاقة ، علاقة المقابلة من جهةٍ ، وعلاقة البيان والتفسير بين الموضعين من جهةٍ أخرى ، كما أشرنا إلى ذلك في الموضع السالف الذكر .

ج- أن العلاقتين المذكورتين في النقطة السابقة ، وما خلصنا إليه من علاقة قائمة بين الموضعين - صحيحتان ، وعلى ذلك يبدو احتباكُ النص واضحاً من ناحيةٍ ، ومن ناحيةٍ أخرى، فإن المقابلةَ بين الألفاظ في الموضعين توضح المعاني وتظهر جوانبها ، بما لها من مقابلاتٍ تؤكد على صلة هذين الموضعين بعضهما ببعض من ناحيةٍ ، ومن ناحيةٍ أخرى صلة هذه الألفاظ في الموضعين بعضها ببعض .

وإذا كان هذا قولاً قلناه ، فيما يتواردُ من خواطرَ ، فإن جوانبه الكلام لا تزالُ تحتاج إلى كلامٍ شديدِ التفصيل بعدما ذكرنا من التحصيل يتعلق أولاً (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) وثانياً بجوانب التفصيل ، لما أجمل في الآية /١٥ ، وقد بقي فضل بيانٍ متعلق بهذه نستقبله فيما يلي من تحليلٍ ، إن شاء الله .

بقي كلامٌ يتعلق بـ (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) يحتاج إلى تفصيلٍ شديدٍ بعد ما ذكرنا من التحصيل وأنها (طَرَائِقَ قِدَداً) تمثل عنصراً رابطاً قوياً بين ما سبقها داخل حدود الآية (مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) فإذا كانتْ بياناً لما ورد قبلها ، ومن هنا فالعلاقةُ القائمةُ بينها وبين ما قبلها في ذات الآية علاقةُ تفصيلٍ لما هو مجملٌ في صدر الآية ،بناءً على ما أوردناه . ومن ثمَّ ، فالعلاقةُ القائمةُ علاقةُ تفصيلٍ للمجمل ، فهي لما قبلها مفصلةٌ ، ولما بعدها مجملةٌ ، هذا من ناحية .

كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً — مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ

↓ ↓

مفصل / مفسر — مجمل / موجز

ومن ناحيةٍ أخرى ، فإن (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) تمتد علاقتها — كما ذكرنا — إلى الآية /١٤، وبالتالي أواصر الصلات ظاهرة = لأن الآية/١٤ بيانٌ لـ (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) وبناءً على ذلك ، فإن العلاقات الشابكة بينهما واضحةٌ ، وهي (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدا) مجملةٌ لما هو واردٌ في الآية/١٤ (مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ . . .) والآية/١٤ مفصلةٌ ، فالعلاقةُ القائمةُ علاقةُ تفصيل المجمل ، وبالتالي نخلص إلى :

١- العلاقة بين الموضعين في الآية/١١ (مجمل ← تفصيل) .

٢- العلاقة بين الموضعين (١١ ، ١٤) (مجمل ← تفصيل) .

٣- أن العلاقة في الآية /١١ تفصيل ضيق . ثم ينتقل التفصيل الأوسع للمجمل .

في الآية /١١ يكون مجملاً لما يليه ، وبالتالي فإنَّ (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) تمثل عنصراً فارقاً ، لما قبلها داخل الآية ، ولما يليها من الآية/١٤ ، وهي (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) تمثل لما قبلها عنصراً مفصلاً (مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) وهي لما بعدها مجملةٌ ، وتفصيلها في الآية/١٤ ، ومن ثم فإن(كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) تمثل إحالةً مزدوجة للموضعين ، أو بتعبير أدق تمثل فاصلاً مهماً وعنصراً رابطاً بين الموضعين ، هذا من ناحيةٍ ، ومن ناحيةٍ أخرى ، فهي ترتبطُ بما قبلها داخل الآية من خلال علاقةِ التفصيل ، وبما يليها من الآية /١٤ بأن الآية /١٤ تفصيلٌ لما هو في الآية /١١ من إجمال . وهكذا يتماسك الموضعان المتباعدان (١١، ١٤) من خلال علاقةِ الإجمال والتفصيل .

وبناءً على هذه الرؤية ، فإنَّ (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) تمثل عنصراً رابطاً بين الموضعين داخل السورة، وتحديداً بين هذين الموضعين ، وبالتالي تمثلُ ركيزةً أساسيةً في هذا الموضع ، يبنى عليها تماسكٌ دلاليٌّ بحت.

كما أن ثمة رابطاً مفهومياً آخر ، نشير إليه على سنةِ الاختصار ، بما يؤكد ما توصلنا إليه من تحليلٍ ، أن الموضعين (١١ ، ١٤ ، ١٥) يتحدثان عن قضيةٍ واحدةٍ (إيمانِ نفر من الجن أو هو على لسانهم) وعلى ذلك ، فإن الأحداث الماثلة واحدة ، لكن هناك مفارقة تبقى من جهتي أن الآية / ١٤ ، ١٥، تفصيلٌ لما هو واردٌ في الآية/ ١١ ، وبالتالي نضيف عنصراً رابطاً مفهومياً آخر، أن الآية/١١ ، مجملةٌ ، والآية/١٤ ، ١٥ مفصلة / مفسرة ، والعلاقةُ القائمةُ علاقةٌ مفهوميةٌ لا ريبَ فيها . وعلى هدي من ذلك ، يمكننا إيجاز تلك الرؤية وإبرازها في العناصر التالية :

١- أن (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) تفصيل لما هو وارد في صدر الآية (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) .

٢- أن (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) مجملةٌ، مقارنةً بما هو وارد في الآية/١٤ ، ١٥، المفصلة لها في الآية/١١.

٣- الآيات /١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ مفصلةٌ ، لما هو مجملٌ في الآية /١١ .

٤- أن (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) تمثل عنصراً مركزياً بين الآيات (١١) من ناحية ، والآية (١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧) من ناحية أخرى .

٥- علاقةٌ المشابهة بين الموضعين ، بما يشكّل كل منها حدثاً واحداً ، يكمّل كلُ واحد الآخر ، وإنْ كانتْ الآيات (١٤ ، ١٥ ، ١٦) تمثل أكثرَ تفصيلاً ، لما هو في الآية/١١، وبالتالي فإن الآية/١١ على وجه الإجمال ، والآية (١٤ ، ١٥ ، ١٦) على وجه التفصيل .

وإذا كان هذا كلامًا شديد التحصيل ، فإنه يحتاجُ إلى نوعٍ من التفصيل ، لإظهار جوانب أخرى ، لا تقل أهميةً في بيان انحباك بنية الآيات داخل حدود السورة من جهةٍ ، ومن ناحيةٍ أخرى ارتباطها بالمواضع الأخرى من ناحيةٍ ثانية ، ونرى أن هذه النوعيةَ من العلاقات المرتبطة بعالم النص (العلاقات المفهومية) نقتصرُ فيها على جوانب ما يقع داخل حدود السورة والآيات بعضها ببعض ، وحسبي من إبراز أمورٍ حاصلةٍ في الآيات . وهو ما يؤكد إشارة الزجاج في أن (مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) تفسير لـ (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) [1].

فالآيات (١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧) ترتبط بعلاقاتِ التفصيل للمجمل الواردة في الآية /١١ كما نجد أن هنالك كلاماً آخر يحتاجُ إلى بيانٍ ، فالآية /١٤، تشتمل على إجمالٍ وتفصيلٍ ، أمَّا الآية /١٥ فتأتي تفصيلا لما هو وارد في الآية/١٤ ، وهكذا فيما أحسب يحتاج إلى فضل بيان .

الآية /١٤ تشتملُ على (مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) وبينهما مقابلة، ويستدعي هذا بطبيعة الحال العلاقةَ القائمة بين المتقابلين (أعني المسلمين والقاسطين) وما بينهما من علاقةِ التماسك الدلالي ، وإذا كان هذان فريقين ، فإن هذه الرؤية مجملةٌ، تأتي تفصيلا لجزءٍ منها في الآية ذاتها ، ويبقى الجزءُ الآخر من التفصيل بعد التحصيل في الآية /١٥ ، وبالتالي تستقيمُ القسمةُ بين المقابلة الدالة بشكلٍ ضمني على الصلات الحابكة لهذه الآيات .

فالآية /١٤ مجملةٌ ومفسرةٌ في آنٍ واحدٌ ، مجملةٌ لما هو واردٌ فيها . وما هو واردٌ في الآية/١٥ وبالتالي فهي/١٤ ، وتحديداً (مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) مجملةٌ لما هو واردٌ بعدها من الآية والآية التالية .

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٣٥.

مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ذات الآية والآية /١٥ .

↓

إجمال

الْمُسْلِمُونَ تفصيله الآية/ ١٤ (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً)

الآية / ١٤ في

وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ في الآية /١٥ (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً)

↓ ↓

١٤

مجملة العلاقة القائمة بينهما تفصيل

تفصيل بعد إجمال

وعلى هذا التحليل تقوم العلاقة المفهومية بين الآية والآيتين ـ كما أوردنا ـ وترتبطان بما هو وارد في الآية/١١، وهكذا تتشابك القضايا الحابكة لبنية هذه الآيات ، بما يشكل منها لحمة لغوية منسجمة من ناحية، ومتماسكة من ناحيةٍ أخرى . بيد أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد ، إذ لا يتوقف التحليل عند مقارنة الآيات ، وإظهار هذه الجوانب فقط ، وإنما ترتبط الآيتان من خلال :

١- عنصر المقابلة واضحٌ ، لا ريبَ فيه وليس عليه ظل لريب بين المسلمين . . . . "فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً" ، وبين "الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً" ، وكل منها يقع موقعاً مختلفاً في الآيات .

٢- الإجمالٌ والتفصيلٌ في الآية /١٤ مُجْمَلٌ في الآية ذاتها ، وفي الآية التالية (١٥) ، وبالتالي فإن الآية/١٤ تمثل أهميةً أساسيةً ، كما كانت (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً) ، وتتمثل أهميةً هذه الآية في احتوائها على الإجمال والتفصيل في آنٍ واحدٍ ، إجمالٌ لما هو واردٌ في الآية والآية

التالية ، والآية التالية فيها تفصيل لما هو وارد في الآية /١٤، وبالتالي فإن الآية /١٥ ترتبط بالآية /١٤ من ناحية :

١-أن الآية /١٥ ، أجملت ما ورد في الآية /١٤، وتدل (الْقَاسِطُونَ) الواردة بشكلٍ مجملٍ ، في الآية/كما ذكرت ـ اشتملت على إجمالٍ وتفصيلٍ ، إجمالٍ لما هو واردٌ في الآية /١٥ ١٤ ، والمفصلة في الآية /١٥ دلالةً واضحةً .

٢- أن الآية /١٤ ، وتفرق عن الآية / ١٥، في أن الإجمالَ والتفصيلَ واردٌ في الآية ذاتها ، وتمثل هذه سمةً فارقةً على الرغم من التماسك .

٣- كل من الآية / ١٤ ، ١٥ ، تمثل تفصيلاً ، لما هو مجملٌ في الآية /١١ ، وقد ذكرت ذلك أعلاه .

وإذا كانت الملاحظُ الواردة أعلاه ، تمثل جوانبَ العلاقة بين الآيتين (١٤ ١٥) من ناحية ، والآية/١١ من ناحيةٍ أخرى ، بما أنَّ الآيتين (١٤ ، ١٥) تفصيلٌ لما هو واردٌ ثمةَ (١١) موجزاً ، كما أن ثمة ملحظاً آخر يتمثل فى أن هنالك مقابلة بين المسلمين والقاسطين ، وسنأتي عليه في موضع آخر من البحث .

بيد أن الآية /١٥ ، إذا كانتْ تفصيلاً لما ورد مجملاً في الآية /١٤ ، فإنها مجملةٌ ، مقارنةً بما بعدها ، أعني الآيتين /١٦ ، ١٧، إذ الحديثُ موصولٌ عن القاسطين (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً) ، وبالتالي نلاحظ أن الحديث خاصٌ بالقاسطين ، وهنا رؤى مختلفة للمفسرين في هذا الجانب ، وإنما نؤكد ما ذهب إليه بعض المفسرين من حيث عطف الآيتين على الآية /١٥ ، وفي ذلك

إفادةً ، حيث تتصل الآيات والأحداث ، ودعنا من الأقوال الأخرى التي ترى أن الإحالةَ الموجودة هى إلى المسلمين .

تبدأ سورةُ (الجن) بمخاطبةِ النبي (صلى الله عليه وسلم) (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ) ، ثم يأتي الحديث فيما يلي ذلك ، ويكاد يستغرق السورة كلها ، وتحديداً حتى الآية /١٩ ، ثم تبدأ الآياتُ على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم) بدايةً من الآية /٢٠ـ ٢٨ وكأنَّ الحق سبحانه وتعالى ، يريد أن يقول إن السورة تبدأ وتنتهي بالحديث مع الرسول ، وأن كل أحداثها ما بين قوسين . وهكذا ترتبط بداية السورة بآخرها ، ومن هنا ترتبطُ الآياتُ الأولى ، بما هو واردٌ في الآيات الأخرى ، ومن هنا ترتبط أجزاءُ الآيات المتباعدة .

وإذا كانت هذه الملاحظات تمثل ارتباطاً بين آيات السورة المتباعدة ، فإن ثمةَ ملحظاً على قدر من الأهمية ، وهو أن هذه السورة ترتبط بسورة نوحٍ من خلال عددٍ من العناصر الجامعة بينها ويتضح ذلك من خلال ما يلى :

١- أن سورة الجن تبدأ بالحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وسورة نوحٍ ، تبدأ بالحديث عن نوحٍ عليه السلام ، ونوحُ أول رسول للبشرية، والنبي آخر رسول للبشرية ، وبين الأول والآخر مقابلةٌ ، تظهر العلاقةُ القائمة بينهما ، وهذا ما أشار إليه بعض المفسرين[1].

٢- أن سورة الجن تبدأ وتنتهي بذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وأن سورة نوح كذلك .

٣- ذكر السيوطي أن بين الجن ونوحٍ رابطاً آخر ، فقال : قد فكرتُ مدةً في وجه اتصالها بما قبلها ، فلم يظهر لي سوى أنه قال في سورة نوح ١٠ ، ١١ (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً) وفي الجن / ١٧ (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ

---

(١) الألوسي : روح المعاني ١٥/ ١٠١.

لأسقيناهُم مَاءً غدَقا) ، وهذا وجهٌ بيّن في الارتباط [١]. وهو وجهٌ قائمٌ على المشابهة بين الموضعين . كما نشير إلى أنَّ الآيــة /٣ (وَأَنَّــهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً) والآية (وَأَنَّا ظَنَنَّا أن لَّــن تَقُولَ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً) .

ونستثمر ما أورده الإمامُ الألوسي[٢]: أنَّ القول الكذب من الإنس والجن ، هو كذبه في أن يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وهو ما ذكره في الآية/ ٢٣، والحديث في الآية/٥ ، ومن هنا فالآية /٥ ، ترتبط من خلال الإحالة بالآية / ٣ ، وهكذا نجد الترابطَ الحاكم لعالم النص (حبكه) يربط بين الآيتين .

وكذلك قوله تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَــداً* إلا مَــنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً* لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً) الجــن /٢٦ ، ٢٨ ، وكل هذا تفصيلٌ لــ (قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً).

٢ / ٢ : التفصيل بعد الإجمال خارج حدود الآية :

ذكرنا أن (فترة التذكر الأولى) تبدأ من الآية /٤ ــ ١٣ ، وتتسم بسمة تميزها عما قبلها وعما بعدها ، وابتداءً من الآية٤ ــ ١٣ ، نلاحظُ أن الآيــات تبدأ بــ (وأنّا + الفعل الماضي) .

وأنا + لا + الفعل المضارع .

وأنه + الفعل الماضي .

وإنا + لما + الفعل الماضي .

وعلى أيةِ حالٍ فإن هذا القسم نلاحظُ فيه تكراراً لـــ (أنــا + الفعــل الماضي) بشكلٍ عامٍ ، ومن ثم فالذي نلاحظه أن في هذا التكرار محاولةً لتقديم

(١) السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ص ١٢٩.

(٢) ينظر : الألوسي : روح المعاني ١٥/ ١٠٦.

صورة أخرى مفارقة عما هي عليه في الآية السابقة أو اللاحقة ، وفي آيات هذا القسم دليلٌ على صدقِ ما نذهب إليه ، فكل آيةٍ تقدم شيئاً مختلفاً عما هي عليه في الآية الأخرى ، مما يشكّل منها جميعاً محوراً متكاملاً في تقديمِ الملامح الجوهرية ، لما كان يحدث قبل إيمانهم، وقبل مجيء النبي (صلى الله عليه وسلم) .

نذكر هنا أن الآية / ٢ (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ...) مترتبةٌ على سماعهم القرآن في الآية الأولى ، وما هو واردٌ في الأحقاف/٢٩ ، وبالتالي فإن(يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) ترتبط بعلاقةٍ مفهوميةٍ بما قبلها ، وبما هو واردٌ في الأحقاف ، وتأتي الآية الأولى كدلالةٍ عامةٍ ، فيما أرى ، والآية الثانية تخصيصٌ لذلك المعنى العام ، والتخصيصُ في الآية / ٢ يليه في الآية / ٣ (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا) أكثر تخصيصاً، مما هو واردٌ في الآية /٢ والآية /١ كما ذكرنا ذلك قبلاً (ينظر : ٢ / ٢/٢ من البحث) وتمثل هذه الآياتُ الأُولِ فترة الإيمان الأولى ، والعلاقةُ القائمةُ بينهما علاقةُ العموم والخصوص ، فكل آية سابقة عامة مقارنة بما يليها والعكس ، كما أن هنالك علاقة الإجمال والتفصيل ، والمترتبة على الملاحظة الأولى ، وهكذا تبدو قسماتُ العلاقةِ بينها ، على الرغم من أن كليهما يشتمل على قضايا ثانويةٍ داخل حدود الآية ، وهذه القضايا الثانوية ، لها علاقةٌ بالتفصيل بعد الإجمال ، والذي يمثله ضميرُ الشأن .

بقي فضلُ بيانٍ آخر ، أرى فيه تفصيلاً لما هو واردٌ في الآية /٢٥ على النحو التالي (قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا) فـ (ربي) في الآية ورد تفصيله في الآية التالية/٢٦ (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) وبالتالي فالآية تفصيل لكلمة (ربي) لكن الآية /٢٦ ترتبط بالآية التالية /٢٧ من خلال أداة الاستثناء (إلا) كاستثناء لذلك الحكم الوارد في

الآية /٢٦ (لاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) ، وجاءت الآية / ٢٧ لتمثل ذلك الاستثناء من الحكم في /٢٦ ، ولاشك أن العلاقة بين المستثنى والمستثنى منه ظاهرة لا شكَ فيها ، وتأتي الآية /٢٨ نتيجةً لذلك الاستثناء الوارد في الآية /٢٧ ، وبالتالي فإن إظهارَ بعض الغيب لبعض الرسل مترتبٌ عليه الآية / ٢٨ (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) ، كما أني أشير إلى تلك العلاقة القائمة بين الآيات (٢٠ـــ ٢٨) بشكلٍ عامٍ ، وهو أمرٌ أبلجُ وأوضح من أن أستدل له أو عليه .

وها أنا أضيف نوعاً جديداً ، إضافةً إلى ما أوردته أعلاه " توازي المباني لتوازي المعاني " ونقصد به أن المباني تأتي تبعاً للمعاني ، وعلى هذا ، فالمباني تأتي على قدر المعاني ، ومن ثم فإن هذه المباني ، تأتي منتظمةً ومتسقةً ، بما يشكّل منها سمةً حقيقيةً في النص ، وهذا الانتظام والاتساق ، يشير ضمنياً إلى الإعادة الضمنية ، وأحسب أن هذين النوعين ، يأتيان من خلال صنفين ، تواز في مباني الألفاظ ، وتوازٍ في الأبنية الكبرى . ونأتي على الصنف الأول ، فيما نستقبله من تحليل في المطلب التالي .

١- توازي المباني تبعاً لتوازي المعاني (في الألفاظ) :

ربما يتداخل هذا الجزء من الإعادة الضمنية في الألفاظ ، وما أوردناه ثمةَ في الإعادة الضمنية ، ومن هنا نكتفي بما أوردناه ثمة . أما الصنف الآخر ، فنشير إليه في المطلب التالي .

٢- توازي المباني تبعاً لتوازي المعاني (الأبنية الكبرى) :

ويكفى إيراد بعضها ليدل على جلها ، فيما يلي :

٩- ...... فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا .

١٣- ...... فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا .

٢- يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا .

٢٠- قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا .

١٠- وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا .

٢٥- قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا .

٢٣- إِلاَّ بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا .

٢٧- إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا .

٥- وأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .

٦- وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا .

٧- وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا .

١١- وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا .

١٤- وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا .

١٨- .... فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا .

١٩- .... كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا .

٢٠- قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا .

٢١- قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا .

وجوانب أخرى خاصةً بتوازي المباني تبعاً لتوازي المعاني على اختلافها ، لا تخفى على من له بهذه الأمور نظرٌ .

٤ / ٠ : التناص باعتباره عنصراً من عناصر التماسك النصي :

يعد التناص عنصراً من العناصر التي أوجبها أولو الأهلية من أهل الاختصاص ليكون النص مكتمل النصية . وإذا كانت مصنفات " نحو النص " قد عدت المعيارين الأول والثاني (السبك / الحبك) أساسين في النصوص

المكتوبة ، فإنه يمكن أن يحد ما على تحليل النص وينتج كماً معرفياً لاكتناه أسراره وكشف غموضه وترويض شموسه ، بيد أن التناص وإن كان يمكن الاستغناء عنه في تحليل بعض جوانب النصوص، فإنه لازمٌ بالقدر الذي يزيل الوحشة في بعض النصوص ، ولزومه يرفع هذا النص أو ذاك إلى مصاف عليين في النصية ؛ لأنه يكون نصاً مكتملَ النصية ، وهي صفةٌ مائزةٌ أوردتها مصنفات " نحو النص " . وعلى هذا يتحدد موقعُ النص القرآني والعناصر الفاعلة في سبر أغواره ، وقد أوردتُها بفضل بيانٍ صدد الحديث عن العناصر المؤثرة في التحليل صدر هذا البحث .

وإذا رجعنا البصر فيما يرتبط بمصطلح التناص في التراث التفسيري ، وجدناه ثابتاً بيقينٍ ، وهو ما أوردته مصنفات التفسير أن : القرآن يفسر بعضه بعضاً ، وهي مقولةُ صدقٍ لا شوبَ فيها ، وعلى هدى من هذه الرؤية ، نحاول صياغةَ تحديدٍ دقيقٍ له ، فنقول وبالله التوفيق : إنه علاقةٌ بين نصين أو أكثر من نوعٍ ما، سيقت إحداهما على وجه الإجمال في موضعٍ ، وفي الموضع الآخر على سنة التفصيل أو العكس ، كما أن وجوه المشاكلة اللغوية بجوانبها المختلفة ظاهرةٌ معلنةٌ بينها ، بحيث يكمل كلُ منهما الآخر ، على الرغم من تفاوت السياقات غير اللغوية .

وإذا كان أحد الباحثين يرى أن ظاهرةَ التناص ، قد لا تكون بالضرورة نابعةً من وعي المبدع وسعيه إلى تقليد معنى غيره ، بقدر ما هي مرتبطةٌ قبل كل شيءٍ بوعي المتلقي وإسقاطه بنية نصية وخطابية يعرفها سابقاً على بنية نصية خطابية يكتشفها حاضراً ، هذه الظاهرة قد تحدث نتيجةَ وعي الأديب نفسه ، بأنه ينبغي أن يسير في ركاب نص سابق ... (١).

(١) د. توفيق قويرة : التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي ص ١٩٢.

وإذا كان يرى أنه يرتبط بوعي المتلقي ، فهذا أمرٌ لا ريبَ فيه ، ويتعلق هذا الجانب من رؤية الباحث باستخلاص التناص زمن النصوص ، وبيان العلاقات القائمة بينهما . أما فيما يتعلق بالأديب ذاته ، فلم يشر الباحث إلا إلى نوعٍ واحدٍ وهو أن يكون نتيجةَ وعي الأديب نفسه ... وهذا أمر لا مريةَ فيه ، ونضيف أيضاً أنه قد يقع دون وعي ، باعتبار أن النصوص الأدبية جميعها ، ما هي إلا خلاصةُ تجارب حياتية ، يتأثر فيها الأديب بغيره ، ويؤثر هو في غيره، وعلى هذا قد يقع التناص دون وعي الأديب المباشر في بعض الأحيان .

اتفقتْ النصوص الأدبية والنص القرآني في المصطلح بشكلٍ عامٍ ، لكن الإجراءات المنهجية للتناص في النصوص الأدبية تفارق ـ فيما أرى ـ النص القرآني ، خاصة أن النص القرآني نصٌ واحدٌ ، وعلى هذا الأساس ، فإن وقوع التناص فيه ، ليس نوعًا من التأثير والتأثر بين كاتبين ، أو حتى لدى كاتب واحدٍ في نصٍ واحدٍ أو في نصوصٍ مختلفةٍ ، وإنما يبقى التناصُ في القرآن مشتملاً على تفصيلِ مجملٍ أو توضيحِ جزئيةٍ ، أو نتيجة لما ورد في موضع أخر ، ومن هنا فإن التناص في القرآن الكريم يمكن إبرازه في عدد من الصفات الجوهرية التي تميزه عن غيره :

١- يمكن أن يكون التناص توضيح مجملٍ ، ويضم هذا :

أ- إمّا داخل حدود السورة .

ب- وإمّا خارج حدود السورة (ونشير إلى ذلك فيما يتعلق بسورة الجن) .

٢- يأتي التناص في القرآن الكريم ، نتيجةً (أو سبباً) لحدثٍ وقع في موضعٍ آخر من النص القرآني .

٣- يأتي التناص في القرآن الكريم بين موضعين متداخلين ومتعانقين ، بيد أن كل موضع على الرغم من ذلك - يقدم رؤية غير موجودة في الموضع الآخر مع رجع البصر فيه .

٤- يأتي التناص في القرآن الكريم تكميلاً لأحداث وردتْ في موضع ، ويأتي الموضع الآخر، ليعرض لهذه الرؤية من جانب آخر ، غير موجود في ذلك الموضع .

وباعتبار ما سبقَ ، فالتناص قد يقع لدى كاتبٍ في نصٍ واحدٍ أو في نصوصه على اختلافها ، أو بين أكثرَ من كاتب . ويقع النص القرآني ضمن النمط الأول باعتباره من الله سبحانه ، من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى باعتباره نصاً واحداً . وإذا ولينا وجوهنا شطرَ قضايا التناص المتعلقة بسورة الجن ، استطعنا استصفاء صفتين من الصفات الموائز في هذا الشأن ، تبنى عليهما الركائز الأساسية في هذا المطلب، ونسوقها على سنةِ الاختصار :

٤/١ : التناص داخل حدود السورة .

٤/٢ : التناص خارج حدود السورة .

بيد أننا واجدون أن الإفادةَ مما هو واردٌ في الاقتراح الأول - تكشف وتركز بما يشكل منه لُحْمَةً، باعتباره عنصراً رابطاً = تمهيداً للربط الأوسع ، وهو المتعلقُ بالصنف الثاني . وتعتضد الرؤية الأولى بالثانية والعكس ، كما أن الأولى لازمةٌ لحصول الثانية ، والأخرى مدعمةٌ ومقويةٌ للأولى .

ونستظهر مما أوردناه مجملاً بشئٍ من التفصيل ، فالنوع الثاني لا يكون إلا إذا انحبكت مظاهر النص ، فاحتباك الآيات داخل السورة يكون تمهيداً ، فالأولُ لازمُ للثاني ، والثاني قائمٌ على الأول . وفصل القول إن كليهما بحاجة للآخر ؛ لخاصتين ، الأولى : أن يكونَ تفصيلاً وبياناً . الثانية : استباكاً

واحتباكاً لبنية النص المترامية الأطراف (داخل السورة / خارج السورة) ، ونأخذ الآن في بيان أولى القبلتين .

ويجدرُ القولُ إن ما يمكن أن نطلق عليه تناصاً ، قد نال عناية المفسرين على اختلافهم ، وبناءً على ذلك، فإننا في هذا المطلب ، سنظهر إلى حدٍ ما بعض التفاسير التي يمكن أن تقدم إضاءةً مهمةً في هذا الشأن.

١/٤ : التناص داخل حدود السورة :

نستعرض أولاً الآيات التاليات من السورة :

٢ : وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا .

٥ : وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .

١٨ : وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا .

٢٠ : قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا .

*وإذا استعرضنا سياق الآيات الأربع مجتمعةً ، وجدناها تأتي مع حالة الإيمان ، فى الآية /٢ (وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) وفى الآية/٣ (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ ... مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا) ، ومن ثم فإنها تفصيلٌ وبيانٌ ، لما هو واردٌ في صدر الآية ، وضمير الشأن (أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ ...) ، وكلُّ ما تلا ذلك بيانٌ لقوله تعالى (وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) كما سيأتي بيانه (ينظر : ٢ / ١ من البحث) .

وإذا كان الإمام الألوسي ، يرى أن قوله (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) أي كنا تظن أن لن يكذب على الله تعالى أحد ، فينسب إليه سبحانه الصاحبةَ والولدَ [١]. ومن هنا فالإحالةُ إلى الآية / ٣ ، وبناءً على ذلك ، يحدث الانسجامُ بين أبنيةِ السبك وأبنيةِ الحبك (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) أي لا ندعو مع الله أحداً غيره ، وهو كنايةٌ عن التوحيد،

---

(١) الألوسي : روح المعاني ١٥/ ١٠٦.

وإن اتفقت على التوحيد ونفي الشرك ، وتدل الآيات السابقات كلها على الإيمان الواضح وعبادة الله وحده .

(إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا) في العبادة ، ومن هنا نلاحظ أن ما يتعلق بالآيات ، نخلص منه إلى شيئين ، الأول : حديثها عن قضية الإيمان وعدم الشرك بالله ، الثاني : أن هذه الآيات ، إنما يمكن تقسيمها إلى فئتين ، مواضعُ خاصة بالجن (١ ، ٥ ، ٦) ومواضعَ خاصة بالإنس (٥ ، ٦) وعلى ضوءٍ من هذه الرؤية ، نستظهر أن قضيةَ الإيمان تشكلُ حيزاً مرموقاً ، وإنْ كان لنا من عنوان فهو (إيمان الجن) في مقابلِ (عدم إيمان الإنس) في سورة نوح ، لكن ما يتعلق بإيمان الجن أجدرُ ، لما تتعلق به السورة بشكلٍ عامٍ .

- قول تعالى (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) / ٢.
- (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) /١٣.

ومواطنُ المقاربةِ بين الآيتين ، أنه في الآية / ٢ (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ) وفي الآية /١٣ (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ) بيدَ أن الآية /٢ مبنية على الآية /١ ، وبالتالي فالآيتان تعدان آيةً واحدةً ؛ لأن (اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) وهكذا في الآية/١٣ (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ .....) والمقاربةُ مستعلنةٌ بين الآيتين ، لكنَّ هناك اختلافاً كثيراً بين الموضعين ، نظهره فيما يلي :

١- أن الآية / ٢ وردت على لسانِ الجنِ حالَ سماعهم القرآن ، والآية /١٣، وردت بعد الإيمان، وهي ما أسميتُها (فترة التذكير الثانية)٠

٢- أن الآية / ٢ واقعةٌ في حالة الإيمان الأولى القسم الأول ، والآية /١٣ واقعةٌ في القسم الثاني (حالة التذكر الأولى / الإيمان الثانية) وبالتالي فالتماسك بادٍ بين الفترتين .

٣- أن الآية /٢ ، لما كان حديثهم حالَ إيمانهم ، ترتب عليها الجزءُ الآخر من الآية (وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) ليس الآنَ ، وليس فيما بعد . أمَّا الآية /١٣ ، ولمّا (فترة التذكر) بما يمثلُ منها مرحلةً ثانيةً للإيمان ، فإن (آمَنَّا بِهِ) ورد بدون (الفاء) في الآية / ١٣ ليس دليلاً على السرعة والتعقيب ، كما في الآية /٢ ، وإنما بدون (الفاء) في الآية / ١٣ بما يشكل منها لُحمةً واحدةً ، لا انفصام لها .

٤/ ٢ : التناص خارج حدود السورة :

يأتي هذا الموضع من خلال عددٍ من المحاور التي تمثله النماذجُ التي ترتبط بها سورةُ الجن مع غيرها من السور الأخرى .

١- (وأَلَّوِ استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) الجن /١٠، وتتناص هذه الآية مع قوله تعالى في نوح /١٠ (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً) قال السيوطي نظرت في سورة نوح وسورة الجن فلم أجد إلا في الجن (أَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) وفي نوح (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً) [١].

ونضيفُ هنا أن آيةَ الجن /١٦ (أَلَّوِ اسْتَقَامُوا ....) تتناص مع مواضع مختلفةٍ من النص القرآني، فإذا كان المفسرون قد فسروا الغدق بالكثير، ويؤكد هذا التفسير قوله تعالى في سورة الأعراف /٩٦ (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا

---

(١) ينظر السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ص ١٢٩ . وقد ذكرت شيئاً يتعلق بهذا القبيل في موضع سابق.

وقوله في المائدة /٦٦ (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم) وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ) وقد قيل إنه يعذبه : لو استقاموا على طريقة الكفر ، ودليل هذا التفسير عندهم قوله تعالى (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) الزخرف/٣٣[١].

والذي يختارُ - وهو أكثر التفاسير - أن الطريقة طريق الهدى ؛ لأن الطريقَ معرّفةٌ بالألف واللام ، والأوجب أن يكون طريق الهدى . والله أعلم[٢].

والذي لا مراءَ فيه ، أن آية الجن ترتبط بروابط متنوعةٍ بشكلٍ أو بآخرَ بمواضع أخرى من النص القرآني .

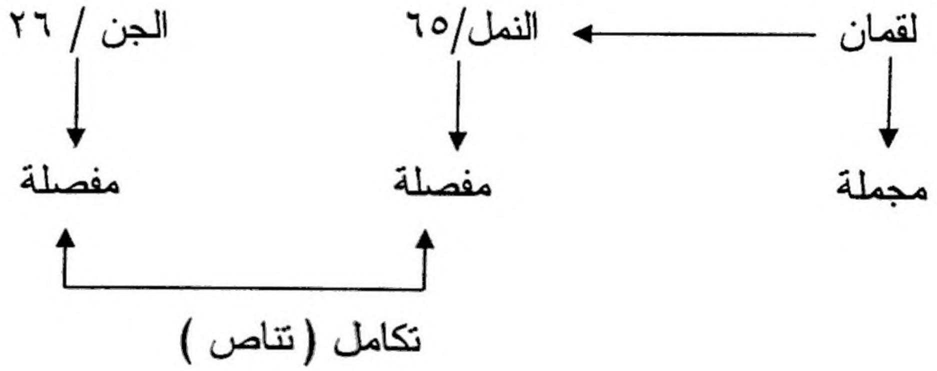
٢- الجن / ٢٦ (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) . النمل / ٦٥ (قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) وإذا ما قارنا بين الموضعين ، فإنّ آية الجن (فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) تؤكد ما ورد في سورةِ النمل /٦٥ (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) ، بيد أن اللافت للنظر أن الآيتين وردتا في موضعين متباينين ، من حيث المكان والترتيب . فإذا كانتْ آيةُ النمل/٦٥ تتعلق بالكفار ، فالله سبحانه قال (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) من البشر . أمّا آيةُ الجن ، فالحديثُ على لسانِ النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وهو ما يؤكد المعنى الوارد في النمل /٦٥ بقوله (فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) من الجن/٢٦ ، وذلك مماثلٌ لما جاء في النمل /٦٥ (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُون) ؛ لأن البعثَ الوارد في النمل/٦٥ هو من الغيبيات الواردة في الجن/٢٦ . وإذا كان كلاهما من الأمور الغيبية ومكملاً للآخر ، فإن لذلك موضعاً

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٥.

(٢) السابق : ٥/ ٢٣٦.

آخر من البحث نستكمل فيه هذه الرؤيةَ ، وفصلت في مواضع عدة من النص القرآني ، ما هو واردٌ في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) لقمان/ ٣٤.

وفيما أخال ، أن لقمان /٣٤ مجملةٌ لكل المواضع المتعلقة بعلم الغيب ، ومنها آيةُ النمل والجن السابقتي الذكر . والعلاقة بينها علاقةُ التفصيلِ بالمجملِ، وهي علاقةٌ لازمةٌ ومتداخلةٌ .

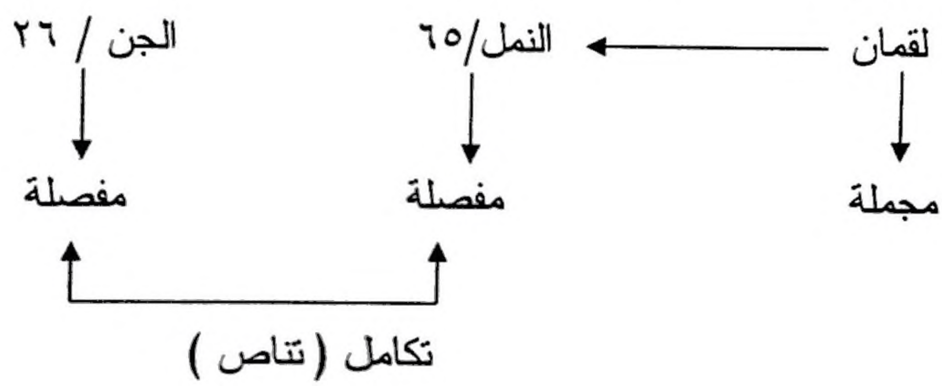


ذكرت أن آية النمل /٦٥ متعلقةٌ بالكافرين ، فجاءَ الاتساقُ مع قوله (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) أما آية الجن ، فالحديثُ على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ثَمَّ اتسق مع (فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) ، وأظن أن (فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) عام ، تتسق مع (أحد) المنكرة ؛ دلالةً على النفي العام ، وهو يشملُ ما دونه سبحانه وتعالى ؛ لأنه يدخلُ فيها كل الأجناس البشرية وغيرها .

وعلى الرغم من التفاوت ، فإن ثمةَ رابطاً آخر يتمثل في أن الآيتين (النمل/ الجن) الخطاب فيهما للبشر بصفة عامة ، وعلى الرغم من ذلك ، يظل الفرقُ واضحاً ، وتظهره آيةُ الجن/٢٧ (إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ....) فإذا كانتْ الآيتان تذكران أنَّ علم الغيب خاصٌ بالله سبحانه ، وهو تفصيلٌ لما هو

آخر من البحث نستكمل فيه هذه الرؤيةَ ، وفصلت في مواضع عدة من النص القرآني ، ما هو واردٌ في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) لقمان/ ٣٤.

وفيما أخال ، أن لقمان /٣٤ مجملةٌ لكل المواضع المتعلقة بعلم الغيب ، ومنها آيةُ النمل والجن السابقتي الذكر . والعلاقة بينها علاقةُ التفصيلِ بالمجملِ، وهي علاقةٌ لازمةٌ ومتداخلةٌ .



ذكرت أن آية النمل /٦٥ متعلقةٌ بالكافرين ، فجاءَ الاتساقُ مع قوله (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) أما آية الجن ، فالحديثُ على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ثمَّ اتسق مع (فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) ، وأظن أن (فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) عام ، تتسق مع (أحد) المنكرة ؛ دلالةً على النفي العام ، وهو يشملُ ما دونه سبحانه وتعالى ؛ لأنه يدخلُ فيها كل الأجناس البشرية وغيرها .

وعلى الرغم من التفاوت ، فإن ثمةَ رابطاً آخر يتمثل في أن الآيتين (النمل/ الجن) الخطاب فيهما للبشر بصفة عامة ، وعلى الرغم من ذلك ، يظل الفرقُ واضحاً ، وتظهره آيةُ الجن/٢٧ (إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ....) فإذا كانتْ الآيتان تذكران أنَّ علم الغيب خاصٌ بالله سبحانه ، وهو تفصيلٌ لما هو

وارد في لقمان /٣٥ ، وبناءً على الاختلاف النوعي بين المخاطبين في الآيتين، فإن آية الجن ، جاءت تحمل دلالةَ الاستثناء المباشر (إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) خلافاً لما هو واردٌ في النمل ولقمان؛ لأنه كما يقول الزجاج : لأنَّ الرسل يستدل على نبوتهم بالآيات المعجزات ، وبأن يخبروا بالغيب فيعلم بذلك أنهم قد خالفوا قيم الأنبياء(١).

٣- (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) الجن / ١ .

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَن لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) الأحقاف/ ٢٩ــ ٣٢ .

تشير الآية /٢٩ من الأحقاف إلى أنَّ الله صرفَ نفراً من الجن (يَسْتَمِعُونَ) القرآن ، وورد التعبير بـ (يَسْتَمِعُونَ) وبيَّن أن (يَسْتَمِعُونَ) فيها إصغاءٌ وتركيزٌ ، خلافاً لـ (يسمعون) الذي قد يأتي عرضًا دون ترتيب ، وعلى هدي من هذا التفريق ، جاء التعبير (أَنصِتُوا) متسقاً مع دلالة (يَسْتَمِعُونَ) متمايزاً عن (يسمعون) هذا من ناحيةٍ . ومن ناحيةٍ أخرى ، يبدو من ترتيبَ الموضعين ، أن الحدث الوارد في الأحقاف / ٢٩ ، وقع أولاً ، إذ ترتيبُ الأحداث (أن الله صرف نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ....) ، وتمثل هذه الآية / ٢٩ من الأحقاف الصورةَ الأولى من هذا الجانب ، غير أن تلك النتيجة المترتبة على استماع القرآن ، لم

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧.

تأتِ في الأحقاف ، وإنما وردتْ في الجن /١ ؛ لأنهم حينما استمعوا لقراءة القرآن ، قالوا أنصتوا ، ونتيجةً لهذين السمتين ، ورد التعبير المباشر ، ونستخلص ذلك من خلال (الفاء) في (فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) ويدل على المفارقةَ بين الاستماع والسماع ، أن تعبير الجن جاء حين فرغوا ، فجاء التعبير بـ (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) وما أخال أن هذا القول إلا نتيجةً لما هو وارد في الآية /٢٩ من الأحقاف ، ومن ثم يتناص الجانبان ويتكاملان .

ومما يؤكد أن ترتيبَ الآيات الذي ذكرناه كان صحيحاً - وهو إن شاء الله كذلك - أن الإمام الألوسي ذكر أنهم : قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ورجعوا إلى قومهم ، وقالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ......) فأنزل الله تعالى (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ .....) [١].

ونلاحظ بادئ النظر أن الاستماع + الإنصات المذكور في الأحقاف حدث وردت نتيجته في الآية الأولى من سورة الجن ، وبالتالي فإن الجن حين استمعوا القرآن وأنصتوا في الأحقاف ، جاءت الآية الأولى من الجن ؛ لتصور الحدثَ عقب استماع القرآن ، ووروده فيما أرى عقب أحداث الآية /٢٩ من الأحقاف ، ومن ثم فإن التعبير ، جاء في بداية الجن بـ (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ....) كناية على وقوع الحدث ، الذي جاء في الأحقاف /٢٩ الذي جاء التعبير فيه بالفعل الآني .

وإذا كان لنا أن نصوغ ترتيبَ هذه الأحداث ، فإن آية الأحقاف / ٢٩ تقع أحداثها أولاً ، ويأتي ما ورد في الآية /١ من الجن حدثًا مترتبًا على ما هو في الأحقاف ، من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى ، يظهر التناص بين أحداث السورتين . وقد ترتب على الاستماع والإنصات الوارد في الأحقاف ما جاء

(١) الألوسي : روح المعاني ١٥/ ١٠٣.

وصفه في الجن /٢ (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ) وهكذا يُظْهِرُ تحليلُ الموضعين اتساقهما ، بما يمثل وحدة نصية واحدة .

٤- ما ورد في الجن / ٣ (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا) مع ما هو واردٌ في الأنعام /١٠١(أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ، ويلاحظ أن اتخاذ الصاحبة يبنى عليه وجودُ الولد ، وهو ما لم تشر إليه الآية /١٠١ (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ) صراحةً ، وهو مظهرُ تَعَجُّبٍ في وصفه بأن له ابناً ، وبالتالي فإن موضع الأنعام تفصيلٌ لما هو في الجن ، والجنُ مجملٌ والأنعامُ مفصلٌ ، موضح .

٥- ما ورد في الآية /٩ (وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) يؤكدها ما ورد في قوله تعالى في سبأ /١٤ (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) ، فقول الجن الوارد في الجن /٩ ، أكدته الأحداثُ وليست الأقوالُ ، وبناءً على ما سبق ، يمكننا القول : إن الآيتين تتناصان من خلال أنهما تمثلان حدثين مختلفين كلٌ منهما يُكمِّلُ الآخر ، وهذه رؤيةٌ أوردتها على وجهِ الإجمال ، وها أنا أشرع في الإبانة عما أوردته مجملاً .

فإذا كانت الآية /٩ من الجن (وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) فإن هذا القول مترتبٌ على موضعين وقعا داخل حدود السورة ، الأول : الآية الثانية (فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) ، وهذا الإيمانُ مترتبٌ على سماع القرآن والإنصات ، وذكرنا شيئاً من الإبانة فيما ورد أعلاه، الثاني : مترتبٌ على ما وردَ في الموضع الأول ، وهو إيمانُهم ، المترتبُ على وجود النبي (ﷺ) ، ودعوةُ النبي في الآية الأولى من الجن /١ (قُلْ أُوحِيَ

إِلَيَّ) دليلٌ ساطعٌ على وجود دعوة النبي (ﷺ) للإنس والجن، وهو ما ترتب عليه إيمان الجن من ناحية ، ومن ناحية أخرى ترتب عليه عدم استراق السمع بعد دعوة النبي (ﷺ) لأنهم قالوا (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا) خلافاً لما كان قائماً قبل البعثة .

ومن هنا فإن دعوةَ النبي (ﷺ) في السورة ، ترتب عليها إيمانُ الجن من جهة ، وفي الآية /٢ من جهة أخرى (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا) الآية / ٨ ، وترتب عليها ما هو واردٌ في الآية / ٩ وما هو واردٌ في الآية /١ (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ) فترة الدعوة الأولى، ترتب عليها إيمان الجن /٢ ، وترتب علي ذلك منعُ استراق السمع الآية /٨ ، وترتب علي الآية /٨ الآية /٩ (وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) .

وبالتالي نخلص إلى ما أطلقنا عليها فترةَ الدعوة الأولى ، وتمثلها الآيةُ الأولى من الجن ، الآية/٢ من السورة ذاتها والآية /٣ مترتبةٌ على الآية /١ ، ٢ ، وبناءً على دعوةِ النبي (ﷺ) الواردة في الآية الأولى مُنع الجن من استراق السمع ، فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا؛ لأنها في الآية السابقة / ٨ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ، وجاءت الآية / ٩ ، بما يشكل منها نتيجةً للأحداث الحاصلةِ لوجود دعوة النبي في الآية/١ ، ٢ ، ٨ ، ٩ ، فجاءت الآية /١٠ (وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) نتيجة لأحداثٍ متماسكةٍ ومتسلسلةٍ ، وهي أحداثٌ متقاربةٌ مكانياً على سطح الورق حيناً ، ومتباعدةٌ حيناً آخر ، كما تمثله أرقامُ الآيات الواردة أعلاه .

بيد أن آية سبأ /١٤ تمثل تصوراً آخر ، وأحسبه يتسق مع ما ورد في الجن ، فإذا كانت الأحداثُ في الجن تدل على عدم معرفتهم الأمور الغيبية التي كانوا يحاولون معرفتها من خلال استراق السمع ، فإن آية سبأ /١٤ جاءت

نتيجة ما ورد في الجن /١٠ ، وتؤكده عملياً . بأن لا علمَ لهم أصــلاً (فلمَّــا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّــا خَــرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) وكانَ هــذا قبل بعثة النبي (ﷺ) ، ولكن يتسق بأنهم إذا كانوا لا يعرفون من هــو ميــتٌ (سليمان) أمامهم وقد حدث ذلك قبل بعثــة النبــي (ﷺ) ، فكيــف بكــم أن تصدقوهم فيما هو أبعدُ من ذلك ولا تعرفون عنه شيئاً ؟! ، وهكذا تظهر العلاقةُ بين الموضعين من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى أن الآية /١٠ من الجن ، إنما هي متسقةٌ مع أحداث ومواضع مختلفة من السورة من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى فإنه في كل موضع من السورتين ، يظهر أحداث ، ليست موجــودةً فــي الســورة الأخرى .

• •

٥ / : المراجع (*)

----

٥ / ١ : المراجع العربية :

١ــ أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ، المجلد الثامن ، دار الكتب العلميــة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢، تحقيق د . زكريا عبد المجيد ، د. أحمد النجولي .

٢ــ د . أشرف عبد البديع : الوظائف الإحالية لجملة الصلة في القرآن الكريم ، مجلة علوم اللغة ، العدد ٣٤ ، ٢٠٠٥م .

٣ــ د . أشرف عبد البديع : العناصر الأساسية المكونة لنظرية النص إيزنبرج نموذجاً ، دراسة تحليلية نقدية، بحث غير منشور .

٤ــ الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المجلد الخامس عشر، دار الفكر ، د. ت .

٥ــ د. توفيق قويرة : التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي ، مجلة عالم الفكر، المجلد ٣٢، ٢٠٠٣م .

٦ــ زتسيسلاف واورزنيــاك : مــدخــل إلى عــلــم النــص مشكلات بنــاء النصوص، مؤسسة المختار، القاهرة ، ترجمه وعلق عليه أ. د. سعيد حسن بحيري ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣.

٧ــ الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، الجزء الخامس ، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الفكر، ط١ ، ١٩٨٨م .

٨ ــ الزمخشري : الكشاف ، دار عالم المعرفة ، د . ت.

٩ــ الزمخشري : المفصل ، دار الجيل ، ط٢ ، بيروت ، لبنان ، د . ت .

(*) لم يتم اعتبار : ابن ، ال في الترتيب.

١٠ـ د. سعد مصلوح : نحو أجرومية النص الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو ، أغسطس ، ١٩٩١م .

١١ـ د. سعد مصلوح : العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ، الكتاب التذكاري الذي أصدرته جامعة الكويت بعنوان : عبد السلام هارون كاتباً ومؤلفاً ومعلماً ، ١٩٩٠م .

١٢ـ د. سعيد بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة في علم النص ، مجلة علامات في النقد الأدبي ،عدد ٣٨ ، ٢٠٠٢م .

١٣ـ السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ .

١٣ـ د . صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، الجزء الأول ، ٢٠٠٠ ، والثاني، ٢٠٠١ . الطبعة الأولى ، دار قباء ، القاهرة .

١٤ـ عبد العزيز عتيق : تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، ١٩٧٠م .

١٥ـ قولفجانج هاينه مان / ديتر فيهفجر: مدخل إلى علم لغة النص ، ترجمه وعلق عليه أ . د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ .

١٦ـ د. محمد العبد : حبك النص ، منظورات من التراث العربي ، ص ١٢٥: ٢٣٦، مجلة الدراسات اللغوية ، الرياض ، م٣ ، ع٣ ، ٢٠٠١ .

١٧ـ محمود محمد شاكر : نمط صعب ونمط مخيف ، دار المدني / القاهر ، دار المدني / جدة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .

٥ / ٢ : المراجع الأجنبية :

1- Beaugrande R. De / Dressler W . : Einführung in die Textliguistik, Niemeyer, Tübingen, 1981

2 -Isenberg H. Überlegungen zur Texttheorie. Jens Ihwe (Hrsg)

In :Literaturwissenschaft und linguistik , Ergebnisse und Perspektiven , Band 1 : Grundlagen und Vorussetzungen , Athenäum 1971 .

3 -Kallmeyer W. (und Andre) : Lektürekolleg zur Textlinguistik Band 1 : Einführung , Athenäum, 1980 .

4 -Van Dijk, T. A . : Aspekte einer Texgrammatik, in : Textlinguistik , (Hrsg.) von Dressler, W. 1978, 268 bis 299.

5 -Vater, H. : Einführung in die Textlinguistik, Struktur, Thema und Referenz in Texten . Wilhelm , 1993 .

* * *

دار الهانى للطباعة ت/٤٤٤٢٠٥٥